إيمانويل ماكرون

من الظلّ إلى الرئاسة

آن فولدا



‘يفكّك الكتاب لغز هذا الشاب الناجح’

Le Figaro

ترجمة

أنطوان سركيس

دار الساقي

آن فولدا

إيمانويل ماكرون

من الظلّ إلى الرئاسة

ترجمة

أنطوان سركيس



Anne Fulda, *Emmanuel Macron, un jeune homme si parfait*, Éditions Plon, 2017

الطبعة العربية

الطبعة الأولى 2017

ISBN 978-614-03-2036-9

دار الساقي
بناية النور، شارع العويني، فردان، ص.ب: 113/5342، بيروت، لبنان
الرمز البريدي: 2033–6114
هاتف: 442 866-1-961+، فاكس: 443 866-1-961+
email: info@daralsaqi.com

يمكنكم شراء كتبنا عبر موقعنا الإلكتروني
www.daralsaqi.com

تابعونا على

@DarAlSaqi
دار الساقي
Dar Al Saqi

"لأنني أريد أن أكون رئيساً، فهمتكم وأحبّكم".

إيمانويل ماكرون، من لقاء في طولون،

في ١٨ شباط/ فبراير ٢٠١٧.

المحتويات

مقدمة

وحلم "مانو"...

"إيمانويل ماكرون؟ ذاك المتحوّل قليلاً". والمتحوّل صفة أطلقها عليه ميشال أويلبيك الخبير في هذا المجال. وكان صاحب كتاب *Particules élémentaires*[1] قد سئل عن رأيه في كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧ في هذا المرشح للرئاسة الفرنسية الذي لم يكن أحد يعرف كيف وصل إلى هذا الموقع، فأجاب بارتباك: "غريب، لا يعلم أحد من أين جاء"، ثم تابع: "حاولت أن أجري معه مقابلة... بصراحة، من الصعوبة بمكان أن تنتزع كلاماً ما، أو حقيقة ما، من الأشخاص البارعين في الكلام"[2].

أويلبيك مصيب كما شأنه في الغالب. فوراء مظهر إيمانويل ماكرون المرح والجذاب، واجهة ناعمة لتكنوقراطي تدرّج في

١ **جزئيّات أوّليّة.**
٢ نشرة أخبار "فرانس ٢"، ١٧ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

أرقى مدارس الجمهورية، يتعذر الإمساك به. هو شخصية مركّبة، يحرص على ألا يكشف من أموره الخاصة سوى ما يريد كشفه، لكنه يستفيض بسخاء في الكلام حين يتعلق الأمر بعرض ما يرغب في تسليط الضوء عليه. لا أحد يعرفه حقّ المعرفة، وأصدقاؤه قلة. تقول عنه زوجته: "إيمانويل في حاجة إلى الجميع وليس في حاجة إلى أحد. لا أحد يدخل دائرته. يبقي الجميع على مسافة منه"[1]. فوزير الاقتصاد السابق يحتفظ ببعض اللغز، بشيءٍ ما مستور، حتى في عرضه المتكامل. إنه أشبه بتشكيلٍ خادعٍ للبصر، أو ببناءٍ قائمٍ على قواعد متحركة، أو بحكايةٍ شخصية وضعت في خدمة طموحٍ جليّ، مع احتمال تنقيحها قليلاً بغية رفع شأنها وتعظيمها.

ماكرون "المتحوّل" ها هو هنا، ومن دون ضجيج. أخذ يبرز شيئاً فشيئاً في وسائل التواصل، مقدّماً نفسه كتكنوقراطي بملامح طفولية، لطيف وأنيق، يلتقط له الصحافيون صوراً وهو مشمّر الأكمام في مكتبه في الإيليزيه.

وسرعان ما راح اسم هذا المصرفيّ الاقتصادي السابق لدى بنك روتشيلد يتردّد في دوائر السلطة وقاعات التحرير. فكان لا بدّ من التعرف إلى هذا الرجل الذي سيكون له، بلا شك، شأن في السنوات المقبلة. شخص بالغ الذكاء واللطف، وسهل المقابلة، وفيلسوف فوق كل ذلك. كان لا بد من توثيق المعرفة به، وبات

١ من مقابلة مع المؤلفة في ١٠ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

منتهى الأناقة القول: "كان مانو معي على الخط". متوافر حتى ساعة متأخرة من الليل لرؤساء البورصة كما للصحافيين والنواب والسياسيين الذين لم يفهموا مباشرةً مع من يتعاملون، والذين لا يزال معظمهم لا يفهمون!

كانت حال ماكرون مع هولاند، ومع كل الذين ساهموا في اختصار طريقه إلى القمة في الأعوام الأخيرة اعترافاً منهم بمواهبه البديهية، كحال آن باكستر مع بيتي دايفس في فيلم All about Eve[1]، فقد أمعن في المراقبة والملاحظة حتى بات من المتعذّر الاستغناء عنه، وأضحى خبيراً في كل مجال. اندمج في تركيبة النظام الذي هو أحد المندفعين المثاليين في صفوفه إلى الحدّ الذي سهّل عليه الانفصال عنه. ويقدّم نفسه، ويا للسخرية، على أنه مرشّحٌ مناهض للنظام.

مرشح رئاسي على استعداد للإصغاء إلى ما تريده فرنسا، المتعاطف معها، كما كان شأنه على الدوام مع كل الذين رعوه وكان لهم فضلٌ عليه. "إسفنجة حقيقية"، يقول عنه محبّوه، لقدرته على التفهم والاستيعاب، و"يمتصّ دم الناس كالعلَقة"، يقول عنه بشيء من الفجاجة "رفيق" قديم من "المعهد الوطني للإدارة" (ENA)، الذي يصفه بالقول: "كائنٌ من دون أيّ تأثير

١ "كل شيء عن حوّاء"، للمخرج جوزف مانكيفيتش، بطولة بيتي ديفيس وآن باكستر. ويتحدث عن ممثلة مشهورة تعطف على إحدى المعجبات فتسرق منها الأضواء. (المترجم)

أوّلي، لا سلباً ولا إيجاباً"، ويخفي شأن هولاند قشرةً صلبةً من فولاذ وراء مظهره الودود.

ولماكرون أيضاً علاقة مذهلة مع الوقت. لا يبدو عليه أبداً أن الوقت دهمه، أو أنه على عجلة من أمره. جاهز دوماً لمنح وقته، كدليل حبٍّ واهتمام، وهذا عامل جذبٍ آخر من عوامل عدة. وهو يبدو كالساعي إلى تطبيق نصيحة أوسكار وايلد: "لا تحرص على إضافة سنوات إلى حياتك، بل احرص على إضافة حياة إلى سنواتك".

أما بالنسبة إلى حياته، فلقد اختطّ لنفسه منذ زمنٍ بعيد مستقبلاً خارجاً عن المألوف، متكتّماً على أحلام العظمة لديه. لم يقسم إيمانويل ماكرون لوالديه أنه سيصبح رئيساً للجمهورية أو بابا لروما، لكنه سريعاً ما رسّخ في نفسه اقتناعاً وطيداً بأنه سيكسب الرهان. ترعرع في أحضان جدّةٍ منحته الحب المتطلّب فنمت بينهما روابط فريدة. وبالعناية التي منحته إياها، ثم بعناية بريجيت، تحوّل إلى رجل لا يقهر. وبدأ هذا الفتى، الذي لم تكن الدنيا تسعه، يكشف شيئاً فشيئاً عن طموحاته. لم يخض معارك صراع الديوك التقليدية التي اتسمت بها دوماً السياسة الفرنسية. وبطريقةٍ شبه واعية، وازى ما بين فوزه بقلب تلك المرأة المتزوجة والأم لثلاثة أولاد، والتي تكبره بأربعةٍ وعشرين عاماً، وفوزه بقلب فرنسا. وبما أنه لم يعدم الجرأة ولا العزم لفرض هذا الحب، فلماذا لا

يدفع غياب الرسميّات عنه قدماً، ويفوز بفرنسا؟

عارفوه أو من يتوهمون ذلك لمسوا جميعاً لديه، ومنذ زمن بعيد، تصميماً صلباً، وإحساساً طفيفاً بالعظمة، وثقةً بقدره لا تتزعزع، وهذا دليل استغراقٍ في الذاتية مستور بعناية. منذ صغره كان ماكرون هو المنتخَب في كلّ المنافسات والمناسبات. كان يتمّ اختياره أو تعيينه تسليماً بأنه الأفضل. لمح على الدوام، تقريباً، نظرات الإعجاب في عيون الآخرين وتشجيعهم وترحيبهم به. "هو مزيج من كينيدي وجيرار فيليب"، يقول مصرفيّ عمل معه. "كأنك نابليون!"، صاحت امرأة شابة بمرشح حركة "إلى الأمام!" الذي صادفته في مكتبة بوبورغ، يوم الأحد ٤ شباط/ فبراير. في ذلك اليوم، ابتسم إيمانويل ماكرون، ولم يعترض فعلاً، ربما لاقتناعه بما كان يردّده بطل معركة جسر أركول: "العباقرة كالشهب قدرهم أن يحترقوا كي ينيروا السبيل لأبناء جيلهم"...

١

"ابن الله"

من مواليد برج جيسكار... عام ١٩٧٧. في كانون الثاني/ يناير من ذلك العام، أطلق سراح فرنسواز كلوستر بعد عامين من الاعتقال في تشاد، وتمّ افتتاح مركز جورج بومبيدو، وانتخب جاك شيراك عمدةً لمدينة باريس، وانطلقت طائرة الكونكورد في تحليقها الأول في رحلة من باريس إلى نيويورك. في المقابل، غيّب الموت جاك بريفير وفلاديمير نابوكوف وغروشو ماركس وإلفيس بريسلي وشارلي شابلن.

أبصر إيمانويل جان – ميشال فريدريك ماكرون النور في ٢١ كانون الأول/ ديسمبر في أميان، بعد وقتٍ قليل من حفل تنصيب بوكاسا الذي أعلن نفسه إمبراطوراً على تلك الجمهورية الأفريقية الوسطى.

لم يولد إيمانويل وعلى رأسه تاج وفي يده صولجان. لكن يبدو

كأن الأمر كان كذلك، لأنه كان الولد المنتظر بشدّة، وبانفعالٍ وترقّب، فقد ولد بعد أكثر من عامٍ بقليل على رحيل شقيقة له ولدت ميتةً فلم يتسنّ لوالديه إطلاقُ اسم عليها، ودفنت من دون مراسم تشييع. حتى الأم لم يكن بإمكانها إعلان الحداد لأنها كادت تفقد حياتها بدورها لإصابتها بداء خمج الدم.

لكن، ما لنا ولهذه الذكريات الأليمة!

العاشرة وأربعون دقيقة من صبيحة ٢١ كانون الأول/ ديسمبر امّحت آثار الحزن، واستعاد الجميع فرحهم. فرنسواز وجان – ميشال ماكرون، الأبوان السعيدان قرّرا إطلاق اسم إيمانويل على طفلهما. لماذا؟ "هكذا!"، قال الأب، "لقد وجدناه اسماً جميلاً". وبعد ذلك بقليل مرّ كاهن على غرفة الولادة فقال للوالدين: هذا اسم توراتيّ ومعناه "ابن الله" (الاسم الذي أطلقه النبي أشعيا على المسيح قبل مجيئه بسبعة قرون)...

ابن الله... يا للوقع الحسن لهذه العبارة! ففرنسواز نوغيس – ماكرون لم تكن مؤمنةً، لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها عن التفكير في أنّ هذا الطفل هدية من السماء، كلما أثير ذلك الحدث، إذ ردّدت: "ولادة إيمانويل كانت بالنسبة إليّ سعادة كبرى بعد كل تلك الظروف الأليمة التي مررنا بها"[1].

هذا الطفل، والحقّ يقال، "جاء ليؤدي رسالة"[2] كما باحت

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٣ شباط/ فبراير ٢٠١٧.
٢ المرجع نفسه.

لأحد أفراد أسرتها. رسالة! يا لها من مادة شيقة للمبتدئين في دراسة علم النفس التحليلي. إذن، هذا هو منبع ذلك الجانب الروحاني في شخصية المرشح للرئاسة الفرنسية وقائد حركة "إلى الأمام!": المسيح الذي يمشي على المياه... التفسير مغرٍ بالطبع، كما يغري التفكير في أن إيمانويل الصغير عاش مع الطيف الحاضر أبداً لتلك الأخت التي لم تبصر النور، ومع رغبة قوية في تغييب ذكرها، وفي أن يكون هو الأفضل... والمحبوب.

لكن الأمور لم تكن كذلك. ففرنسواز نوغيس - ماكرون وزوجها السابق (انفصلا عام ١٩٩٩ وتطلّقا عام ٢٠١٠) طبيبان، ولا بد أنهما كانا قد تشاورا في تلك المدة، فلم يحاولا إخفاء تلك المأساة يوماً عن أولادهما الذين عرفوها صغاراً، سواء إيمانويل أم شقيقه لوران وشقيقته ايستيل.

"ستقولين لي، ولا شك، إن الولد الذي يبصر النور بعد شقيق له ولد ميتاً، هو استثمار بديل. أنا لم يكن لديّ ذلك الانطباع"، قال الأب جان - ميشال بلهجة من لا تبهره النظريات الجامدة لعلم النفس. وأضاف: "لقد حلّت بنا مأساة لكن إرادة الحياة كانت الأقوى. مأساة خلّفت أثراً لا يزول لكنها لم تمنع الحياة من أن تستمر"، فيما يدرك سلفاً أن موت تلك الطفلة كان "أشدّ تعقيداً بالنسبة إلى زوجته". "لقد بذلت ما بوسعي لطيّ

الصفحة"[1]، اعترف طبيب الأعصاب الذي تمنى بدايةً التخصص بطب الأمراض النفسية لكن الممارسة اليومية لذلك الاختصاص أصابته بالإحباط الشديد.

في تلك المدة، لم يكن والدا إيمانويل قد بلغا الثلاثين من عمرهما، وكانا يتابعان دراستهما معاً. "لقد تعارفنا في قسم جراحة الأعصاب"، تتذكر فرنسواز.

"كان حبًّا من النظرة الأولى"، تقول. حدث ذلك في ١٩٧٤، العام الذي انتخب فيه فاليري جيسكار ديستان كأصغر رئيس في الجمهورية الفرنسية وكان في الثامنة والأربعين من عمره، والذي أدخل بعد سنوات قليلة على حوادث أيار ١٩٦٨ بعض الإصلاحات الاجتماعية، كخفض سن الرشد إلى الثامنة عشرة والحق في الإجهاض. ولم يلبث الشابان أن قرّرا السكن معاً، قبل أن يتزوجا زواجاً احتفالياً في الكنيسة عام ١٩٧٥، وكانت فرنسواز حاملاً في شهرها الرابع. "زوجي السابق من أتباع المذهب اللا أدريّ[2]. لقد رضي بزواج ديني لإدخال البهجة إلى قلبي وقلب عائلته"، تتذكر فرنسواز. كان ذلك بُعيد "حوادث أيار" فلم يشكل صدمةً لأحد.

١ من مقابلة مع المؤلفة في ١٣ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

٢ مذهب أو موقف فلسفي يرى بلوغ المطلق متعذراً على العقل البشري، وهي تعبير عام عن عقل وضعي حين يتناول أمور التجربة، وارتيابي حين يتناول أمور الدين والماورائية. (**قاموس الفلسفة** لديدييه جوليا، ترجمة فرنسوا أيوب، إيلي نجم وميشال أبي فاضل). (المترجم)

فرنسواز لا أدريّة بدورها، فلم تربِّ أولادها تربيةً دينية، كما أن أيًّا منهم، على أي حال، لم يتعمّد حين ولد. لكن إيمانويل طلب أن يتعمّد وكان في الثانية عشرة من عمره، كما قالت. "أريد أن أتناول قربانتي الأولى"، قال ذات يوم وقد اختار جدته لوالدته، جرمين نوغيس، عرابةً له وخاله عراباً. وانشغل بالتزامه الروحاني، لكن والده كان عدائيًّا حيال الممارسات الدينية فلم يسمح بها في المنزل، تقول والدته. "وكانت بداية مرحلة روحية استمرّت بضع سنوات"[1] كما صرحت لمجلة *L'Obs*.

شارك كلٌّ من فرنسواز وجان - ميشال في مظاهرات عام ١٩٦٨. فرنسواز التي تلقت دروسها في كلية للبنات حتى المرحلة الثانوية ونالت شهادة البكالوريا، وتسكّعت في الشوارع مع شبّان أميان، وجان - ميشال الذي احتفظ بذكرى "العيد التحرّري الكبير"، مع أنه اعترف، بعد ذلك، بأنّ تلك الذكرى أصابته بالتقزّز. لقد أحبطته السياسة لكنه لم يلبث أن تصالح معها واقترع لميتران في انتخابات ١٩٨١.

حين ماتت طفلتهما الأولى عام ١٩٧٦، كان جان - ميشال وفرنسواز قد أصبحا طبيبين شابين، يعيشان خلوّ بال الشباب ويمنّيان النفس بنشوة هذه الولادة المعلنة. لكنهما، كما العديد من الأزواج، ذاقا مرارة هذه التجربة الأليمة، حين دقّ لهما

١ من مقابلة في ١٦ شباط/ فبراير ٢٠١٧.

القدر جرس الإنذار. وبات في الإمكان تصوّر حالة الإرباك التي عاشاها بالانتقال العنيف من السعادة إلى المأساة والألم الممزق. هو "كابوس"، كما اختصره الأب، عاشاه في قسم الطوارئ في مستشفى القديس أنطوان: الطفلة التي ولدت ميتة، غيبوبة فرنسواز، قسم الإنعاش، الغرفة وسرير الطفل الذي طلبا من الحماة تفكيكه...

تطلّب الأمر سنواتٍ عدة لتشفى فرنسواز من موت تلك الطفلة التي لم تحمل اسماً، فقد "كانت تجربةً مرّة". تلك الطفلة التي كانت رسالة إيمانويل أن تجعلهما ينسيانها.

وهكذا، بعد نحو عامٍ على تلك المأساة، تذوّقا متعة ولادة ابنهما الأول أكثر بقليلٍ من سواهما. كانا في أتمّ سعادة. في ذلك اليوم، ٢٥ كانون الأول/ ديمسبر ١٩٧٧، وبعد أربعة أيام على ولادة إيمانويل، قرّرا الاحتفال بالميلاد بكلّ اعتزاز. "أحضر جان - ميشال المحار والشامبانيا إلى جناح الولادة"، ثمّ سارت الأمور على أتمّ وجه، وأصبح يوم ٢٥ كانون الأول/ ديمسبر يوم القديس إيمانويل.

بالطبع، كان أمراً لا مفرّ منه. فرنسواز التي أرادت التخصّص بطبّ الأطفال (نالت شهادةً في طبّ الأطفال لكنها لم تتابع تخصّصها حتى النهاية)، "احتضنت" على نحوٍ خاص هذا المولود الجديد، "ابن الله". وعلى أيّ حال، هي لا تزال تؤكّد

حتى اليوم أنها لا تزال تلك الدجاجة الحاضنة. الأمّ التي تعرف كلّ صباح أين هم أولادها الثلاثة، والتي تؤكّد أنها لم تعمل يوماً بدوام كامل "من أجل أن تكون بقربهم". وكذلك الجدّة الحاضنة، "الجاهزة للتخلي عن سهرتها لكي تبقى بقرب أحفادها". "الأولاد أوّلاً. هكذا كانت الحال على الدوام"، كما اعترفت، وكأنها كانت تدرك أنها بالغت أحياناً. بالغت ربما، ولكن ليس "إلى ما يتجاوز الحدّ المقبول"، كما حرصت على التصريح بذلك وإعلانه.

فرنسواز نوغيس - ماكرون تريد استعادة موقعها أمّاً بعدما حجبته تلك الجدّة، والدتها، التي دوماً احتلّت الموقع الأول لدى إيمانويل ماكرون في كتابه ومقابلاته، وحتى في اجتماعات حملته الانتخابية! ذلك الموقع الذي تطاول عليه طارئون جعلوا بعض الصحافيين يتخيّلون سيناريوهات تآمرية يزعمون فيها أنها هي وزوجها أنكرا ابنهما حين التقى بريجيت، وتابع دروسه في باريس، ولم يكن له من العمر آنذاك سوى ستة عشر عاماً.

"حين يقرأ المرء بعض المقالات، يخيّل إليه أنّ إيمانويل ليست له عائلة! وهو أمر لا أستطيع احتماله إلا بمرارة"، تقول فرنسواز نوغيس - ماكرون التي تشعر بصعوبة كتم عذابها وبرغبتها الصريحة في إعادة الاعتبار للحقيقة والتشديد على حياة عائلية

قامت حقاً، وبالتحديد، حقيقة مواكبة أولادها في رياضة التنس، وفي كونسرفاتوار أميان، وفي إجازاتهم معاً في الشتاء، وفي التزلج في مونجي، قريباً من منزلها العائلي، ثم في كورشيفال، وفي تيني، وفي الشقق المستأجرة في أرك. وكذلك إجازات الصيف في اليونان وكريت وإيطاليا، والكثير منها في كورسيكا وأجاكسيو وبروبريانو: "كنا ننطلق في سيارة السيتروين وكان الجميع مرضى إلا لوران". من دون أن نغفل عن تلك الإجازات في بانيير - دو - بيغور، حيث كان الصغير إيمانويل يعمل أحياناً مع جدته، لكنه كان يرافق أيضاً جده لأبيه إلى مسابقات الصيد ويلعب بالكرات. حياة عائلة من العائلات البورجوازية الكلاسيكية في الأقاليم، مع أبوين يعملان كثيراً لكنهما يحرصان على أن يؤمّنا لأولادهما الحماية والطمأنينة. باختصار: عائلة على شيءٍ من التقليد، فلم تكن تنسجم مع ذلك العالم الساحر والخارق الذي رسمه إيمانويل، والذي يبدو أنّ لا حضور فيه إلا للجدة. عالم لا يشبه في شيء تلك الحكايات المكرّرة التي يردّدها مرشح الرئاسة، والتي يبدو أنها غفلت عنها، تكريماً لوالديه، ولكن بطريقة غير مباشرة، في كتابه *Révolution*[1]، عندما تطرّق إلى ذكر أولئك "الذين كانوا يشجعونه على العمل الذي يرون فيه تدرّجاً على مسالك الحرية". ويتابع روايته: "هذه

[1] ثورة XO، ٢٠١٦.

العائلة التي كانت تقلق عليّ والتي لم يكن يهمّها شيء في الدنيا، أحياناً، سوى هذا الامتحان، أو تلك الصفحة من الكتابة، والتي كانت تعبّر عن قلقها بهذه الكلمات التي يردّدها ليو فيري في أغنية لا تزال تترك أثرها العميق فيّ: لا تتأخر في العودة، واتقِ البرد خصوصاً".

ماكرون المتحفظ تلقائياً عندما يتعلق الأمر بالحديث عن نفسه، يعترف أنه حظي، وأكثر من سواه، "بالحنان، والثقة، والرغبة في إنجاز كلّ عملٍ على أتمّ وجه". لكنه لا يلبث أن يستطرد إلى موضوع آخر: "المرء لا يختار عائلته، ولا يختار والديه..."، كما يغنّي ماكسيم لو فوريستييه. لقد فضّل هو صراحةً اختيار جدته مانيت ربّةً لعالمه السحريّ، وملكة مرحلتَي طفولته ورشده على السواء.

ما لم يكن في إمكان الوالدة فرنسواز تقبّله عجزها عن التعامل مع سلوك ابنها العمليّ والعاطفيّ كشأنٍ ثانوي. لم يكن في إمكانها تقبّل ذاتيته. والحياة التي دوماً حلمت بها وزوجها السابق، أصبحا اليوم خارجها، ومشطوبَين تقريباً من خريطتها، كما سائر العائلة، شقيق إيمانويل وشقيقته، لوران وايستيل. ترفض أن تتحول حياة عائلتها مسرحاً لكل التخيّلات: إنهما غاضبان من ابنهما البكر، وإنّ جدته كادت تتبناه، وإنهما أنكرا ابنهما بعد قصة الحب مع بريجيت، وحتى أنهما لم يعد لهما وجود في عالمه. غريب حقاً

ذلك الاحتشام المتلوّن، ذلك التحفظ الذي يتحدث به إيمانويل عن طفولته ووالديه، فيما يبرز صورهما، هو وزوجته، على الصفحات الأولى للأبواب الاجتماعية في الصحف، ويستمرّ في رفع جدته إلى مرتبة المثال.

"أليست له عائلة؟!"، حين نسمع تلك الجملة على لسان فرنسواز نوغيس - ماكرون، يحضرنا ردّ الفعل المرير لبرناديت شيراك، وصرخة الغضب التي أطلقتها حين اكتشفت أنّ لا أثر لها في الجدول الذي يعرض الخطة التنظيمية لقصر الإيليزيه. "الرئيس أرمل!"، صاحت بغيظ، فقد آلمها أنه لم يؤتَ فيه على ذكرها وأنه تمّ تجاهلها وأُسقطت دفعةً واحدةً تلك الساعات الطويلة التي أمضتها ممثلةً عن زوجها في كورريز وباريس وفي المناسبات المتنوعة، وفي حفلات الكوكتيل المملة، واجتماعات الجمعيات الزراعية التي لا نهاية لها.

الأمر نفسه ينطبق على فرنسواز نوغيس - ماكرون. تقرأ في الصحف والكتب أخباراً عن شخصٍ لا يبدو لها أنه ابنها، أو على الأقل ليس ذلك الابن الذي عرفته أو توهمت أنها عرفته. لقد انتزعوه منها، ووضعوا مكانه، على ورق مصقول، شخصيةً افتراضية تشعل وسائل التواصل والشبكات الاجتماعية. هذا الإيمانويل هو شخص آخر، إلا إن كانت لم تعرفه قطّ حقّ المعرفة...

الحق يقال، إن "مانو" الذي يخصّها، أفلت منها، ومنذ زمنٍ طويل بالتأكيد. تشعر بأنها مغتصَبة الحقوق. في أعماقها، ربما، لم "تمتلكه" يوماً، ولا هي فهمته في الواقع، لكنها أدركت هذه الحقيقة اليوم، وبطريقة أكثر حدةً، بفعل وسائل الإعلام التي يضخم منظارها المكبّر الأمور. لقد أفلت منها، أفلت منهما، ولم تتمكن من اللحاق به، طالما هو مستباح في حياته الجديدة. لقد انطلق إلى مداراتٍ جديدة، فيما اختزلت الصحف عائلته في ثلاثة: هو وجدته وبريجيت.

مرت سنوات على اختيار إيمانويل ماكرون لنفسه عائلةً أخرى موزعةً في أجزاء، كتلك السّلع التي تباع مفكّكة ويعاد تركيبها، هي عائلة زوجته بريجيت مع أولادها وأحفادها. وباتت مشاركاته في اجتماعات عائلته تتناقص أكثر فأكثر. وبات والداه، وكذلك شقيقه وشقيقته، يشاهدونه على شبكة BFM الإخبارية أكثر مما يشاهدونه في الواقع. رغم أنه عرّاب أحد ولدَي شقيقه لوران التوأمين، كما تذكر أمه، وهو فتى ذو وجه جميل وشعر أشقر، و"يشبه إيمانويل في طفولته شبهاً كبيراً"... لكنه لم يكن يجد الوقت الكافي أكثر فأكثر لمشاهدته، حتى أنه لم يتمكن من المشاركة في الاحتفال بسهرة الميلاد العائلية، كما شأنه على الدوام، على أي حال.

شكوى عادية وغير ذات شأن تقريباً من أمّ ترى ابنها مأخوذاً

بحياة أخرى وامرأة أخرى. شكوى من أمّ تعاني من الصورة التي ينقلونها إليها عن فتاها، ومن الدّور، أو بالأحرى غياب الدّور، الذي ينسبونه إليها، ومنه لا تحتمل تهميشها، فيما تروي بسعادة أنه "كاد يتملكها الذهول" حين دعاها ابنها، إلى مناسبة عيد ميلادها في الثامن من كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٦، وذلك إلى الغداء في مطعم في الدائرة الخامسة عشرة حاملاً معه كتابه وعليه إهداؤه. "تلك اللحظات القليلة من المشاركة العميقة، كانت بالغة الأهمية بالنسبة إليّ. الناس في المطعم تعرفوا إليه واحترموا تلك الخصوصية فلم يلقوا عليه التحية ويتمنوا له التوفيق، إلا حين غادرنا المطعم".

فرنسواز نوغيس - ماكرون فخورة، بالطبع، بانطلاقة ابنها السريعة والخارجة عن المألوف، وبمسيرته التي يصعب تصديقها، لكنها لم تكن تطلب أكثر. إنها تبدو مشوشةً، شاردة الذهن، فذلك كله يتجاوزها ويثير خوفها. هي مربكةٌ في مواجهة هذا النظام الإعلامي الذي لا تعرف عنه شيئاً، لكنها تدرك جشعه الذي لا يرتوي والذي يبدو أن لا علاج له ولن تعرف العدالة إليه سبيلاً. لم يكن في إمكانها أن تشفي غليلها منه قطّ، وخصوصاً حين ترى ابنها عرضة للتفحّص والتحليل والتشريح، والمطاردة حين لا يمنح نفسه له طوعاً. هذه هي غالباً حال العائلة التي ينتقل فردٌ منها فجأةً إلى الأضواء، فتشعر

بصعوبة التكيّف مع الوضع الجديد. كلّ تلك الافتتاحيات الصحافية، والمقالات، والكتب، والمعلومات على الإنترنت، والملصقات، تراها كأنها عملية اغتصاب: "إنها أشبه باقتحام لحياتنا الخاصة"، هذا من دون احتساب اتصالات الأصدقاء السموحين إلى حدٍّ ما، والجاهزين سريعاً للنميمة والثرثرة، والذين يعلنون مفاجأتهم من غُلف المجلات، كغلاف مجلة *VSD* التي صوّرته شريكاً متواطئاً إلى جانب سيغولان رويال. فبعدما كان الابن الروحي لروكار، وهنري هرمان وهولاند، ها هم الآن يقولون إنّ سيغولان هي أمّه: "حين رأيت ذلك قلت في نفسي: ها نحن نختفي مجدّداً!".

تقرأ فرنسواز نوغيس - ماكرون كلّ شيء، بنشاطٍ وتيقظٍ وتفاعلٍ، وتتفحّص كلّ شيءٍ، فقد أدخلت إلى هاتفها تطبيقاً ينبّهها إلى كلّ جديدٍ كي لا يفوتها شيء، إذ باتت "مدمنة" أخبار، فلا تنجح في الانقطاع عنها كليًّا حتى حين تضيق ذرعاً ويفيض بها الكيل. حين تناهت إليها شائعات عن المثلية الجنسية المزعومة لابنها، قالت له: "ستكذّب الخبر ولا شكّ"، فأجابها: "لا يا أمي، الردّ سيغذي هذه الشائعة التي لا أساس لها ولا معنى"[1].

هي أمور أقوى منها ولا تستطيع مجاراتها. لذا، تشعر بحنين

[1] مع ذلك، كذّب تلك الشائعة بطريقة فكاهية، بعد ذلك بوقت قصير، أثناء لقاء في مسرح بوبينو في باريس في ٧ شباط/ فبراير ٢٠١٧.

إلى تلك الحقبة التي كانت لها الحصة الأكبر في ابنها، حين كانا يذهبان معاً إلى دار الأوبرا أو حين كان يتابع دروسه في "المعهد الوطني للإدارة"[1] ولم تكن بريجيت قد ظهرت بعد. وهي تأسف على الوقت الذي كانت فيه تتابع جميع نقاشات قانون ماكرون في اجتماعات الجمعية العامة، حين كان ابنها وزيراً للاقتصاد، فقد أمضت ليالي ونهاراتٍ بطولها تتعرف إلى أسماء النواب الحاضرين في القاعة الدائرية، وتبعث بالرسائل القصيرة إلى فتاها لتحذيره: "هذا كاتب تقارير"، و"ذاك يحبّك بصدق". كانت مساعِدة برلمانية حقيقية... لقد نظرت إلى قانون ٤٩,٣[2] كأنه عملية جارناك[3] قادها مانويل فالس. "ظلّ قانون ٤٩,٣ شوكة في حلقي. حين رأيت وجه إيمانويل وهو على مقاعد الجمعية العمومية، اعتقدت أنه سيتقدم باستقالته في المساء نفسه. لقد أظهر قوّة شخصية لم أكن أشكّ في وجودها". هي أمّ قلقة ومتوترة، وأشبه

١ يعرّف اختصاراً بـENA، وهو معهد عالٍ أنشئ في ستراسبورغ عام ١٩٤٥ لإعداد الكادرات العليا في الإدارة العامّة، وقد خرّج للجمهورية الفرنسية الخامسة أربعة رؤساء جمهورية وسبعة رؤساء وزارة وعدداً من الوزراء ومعظم السفراء والمديرين العامين... (المترجم)

٢ مادة في القانون الفرنسي تجيز للحكومة تنفيذ مشاريع قوانين من دون العودة إلى البرلمان، وهي المادة التي لجأ إليها رئيس الحكومة مانويل فالس لإمرار ما عرف بقانون ماكرون عن إصلاحات تقدم بها وزير الاقتصاد ماكرون في مجالات العمل والنقل والاقتصاد. (المترجم)

٣ تعبير توصف به الضربة حين تكون خاطفة ومميتة، وهي الطريقة التي انتصر فيها بارونُ مقاطعة جارناك غي شابو دو سان - جيليه على خصمه في مبارزة بالسيوف عام ١٥٤٧ م. (المترجم)

بأرنبٍ أعمت عينيه مصابيح سيارة بما أنّ ابنها هو المستهدف. "إنه لأمر فظيع، فحين يكون في توكيه، لا يستطيع أن يطلّ برأسه إلى الخارج. الجميع يعرفونه". لكن ما لا تستطيع احتماله هي تلك الحياة الافتراضية، المشوّهة والناقصة التي ترويها وسائل التواصل.

"لقد حولوا حياته إلى سيرةٍ تروى"، قالتها بأسى. هي لا تقصد، بالطبع، علاقته بجدته ("ماما" كما تسميها)، لكنها تقول بنبرةٍ ثائرة: "لقد حملوا له شيئاً على أي حال. حملوا له قيم العائلة، والرغبة في العمل واحترام الحرية. لست أدري، أنت امرأة، هل لديك أولاد؟ هل تفهمينني؟".

باندفاعة أقلّ، وبتعابير مختلفةٍ وأكثر اعتدالاً، يقول جان – ميشال ماكرون، والد إيمانويل الذي لا يزال يقيم في أميان في منزل هنريفيل العائلي، الكلام نفسه: "لقد صنعوا له طفولةً من صور إيبينال[1] التي تشهد مبيعاتها إقبالاً. فمن جدته المدرّسة، إلى والدتها الأميّة، حقبة تمتد على مدى الجمهورية الثالثة. لكنّ الوالدين أُسقطا من هذه الصورة". يقارن جان – ميشال ماكرون ويحلل ويطرح الآراء، ويبدو أكثر هدوءاً وإيماناً بالقضاء والقدر حيال هذا الفتى ذي المصير الفريد. ولا يخفي، زهو الذي دوماً

[1] صور منسوبة إلى مدينة شرقي فرنسا تدعى إيبينال، اشتهر فيها أواخر القرن الثامن عشر فنان يدعى جان – شارل بيلوران، كان يطبع صوراً بألوان فاقعة شهدت انتشاراً واسعاً في أوساط العامة. (المترجم)

اقترع لأحزاب اليسار، أنّ ضعف الرئيس الذي انتهت ولايته أتاح لابنه أن يُحدث هذا الخرق. "عهد هولاند كان في حاجة خاصة إلى من يحسن تسويقه بطريقة مشوقة. فالشعب متلهف إلى من يروي له الحكايات، وهو دور لم يستطع هولاند أن يلعبه"، يقول. ومع رشفات القهوة القوية ينتقل إلى متابعة روايته: "كنا والدين في حدود المتوسط نرعى أولادنا، ونحيا حياة عادية. نحن لم نطرده". قالها بهدوء. نعم، هو وجد أنّ تعبيره هذا "غير لائق وكاريكاتوري جداً"، لكنه وافق على الكلام بتشجيع منا كي لا يعطي الانطباع بأنه ليس ثمة ما يجب إخفاؤه. تماماً كزوجته، بسبب أعراف الشفافية، أو الشفافية – الزائفة، التي تقتضيها طبيعة الحياة العامة.

فرنسواز وجان – ميشال، أو الوجه الآخر للمشهد، أبوان نحتا، بلا شكّ، وبصبر وأناة، شخصية ابنهما إيمانويل القوية، وزوّقا، كل على طريقته، ارتقاءه الذي كان قد بدأه والدا كل منهما.

فرنسواز نوغيس – ماكرون، من أبوين يعملان في التدريس، ولم تتوقف يوماً عن العمل. إنها أوكسيتانية[1]. منزلها العائلي في بانيير – دو – بيغور (مقاطعة هوت – بيرينيه)، حيث جداها لوالدتها وحيث كان عمها روجيه ناغيس مساعد العمدة. تابعت دروسها في الطب، فبدأت كما ذكرنا التخصص بطب الأطفال،

[1] منطقة جنوبي فرنسا. (المترجم)

لكنها اضطرت إلى الانقطاع عن الدراسة عام ١٩٧٩ مع ولادة طفلها لوران، شقيق إيمانويل. "لم أتحضر لامتحانات الداخلية في المستشفى، في حين أن زوجي اجتازها بتفوّق".

الطب كان الرسالة والطريق الذي قررت سلوكه مذ كانت في التاسعة من عمرها. إنه شغف عائلي، إذ إن شقيقها (المتوفى) كان اختصاصياً بالطب العام، وشقيقتها طبيبة عيون، واثنين من أولادها الثلاثة، لوران وايستيل، اللذين أبصرا النور بعد إيمانويل، طبيبان بدورهما.

بعدما أبصر هذان الولدان النور اضطرت فرنسواز إلى الانقطاع عن دروسها، وانصرفت إلى الرسم والنحت فكانت أعمالها تحتلّ كلّ ركن في المنزل تقريباً. وبضغط من شقيقها تقدمت إلى امتحانات الضمان الاجتماعي، وأصبحت ابتداءً من ١٩٨١ طبيبةً بالتعاقد ثم طبيبةً استشارية مكلفةً مراقبة المستشفيات، وهو عمل في مجال الصحة العامة وجدته مثيراً للاهتمام، رغم أنه لا يقارن، في مردوده، بممارسة الطب الحرّ.

عام ١٩٩٩ أصبحت رئيسة أطباء مطلّقة، فغادرت أميان (طلبت نقلها إلى باريس أو تولوز أو مونبلييه) وانتهى بها المطاف في باريس. هناك عيّنت من جديد مستشارةً طبيةً أساسية مع معاينات في غوت دور، "لم يكن في ذلك ما يثير الاهتمام". عام ٢٠٠١ انتقلت إلى "الصندوق الوطني للضمان الصحي" ونشرت بضع مقالات علمية

عن غسل الكلى، ثم عيّنت رئيسة مشروع PRADO[1]، واضطرت إلى الانقطاع عن العمل فجأةً إثر خضوعها لعملية في الغضروف المفصليّ، فأمضت ثمانية عشر شهراً تتنقل على العصي.

أما جان - ميشال ماكرون الذي تعود أصوله إلى بيكاردي، فمسيرة حياته مختلفة. تقول عنه زوجته السابقة إنه مثقف أصيلٌ وصلبٌ، يعيش حياةً هادئةً مع ميل طفيف إلى الانطواء. "مقيم العلاقات" كانت هي. وكان كثير القراءة على الدوام، ويمتلك حسّاً فكاهياً لا يجارى، ونظرةً ثاقبةً إلى الناس. طبيب أعصاب "يميل إلى الأدب أكثر من ميله إلى الرياضيات". لذا تابع دروساً في الفرنسية واللاتينية واليونانية. كان يحلم بأن يصبح عالم آثار، ولم يستطع تحقيق حلمه لأنّ والديه "اللذين يتحدران من بيئة متواضعة"، كانا يريان أنّ التخصص بالطب أكثر ضماناً وعقلانية. هذا الاختصاص بدا لهما، كما ذكر إيمانويل ماكرون في كتابه *Révolution*، "طريقاً ملكيًّا" للنجاح في مسيرة ارتقاء جمهوري جدير بهذا الاسم. جان - ميشال ("اللامع وفق زوجته السابقة، إذ حلّ أوّلاً في مباراة الطبابة الاستشفائية الداخلية في أميان ثم في كايين، واحتلّ مركزاً مرموقاً في مونبيلييه") كان يرغب، بدايةً، في التخصص بالطب النفسي قبل أن يبدّل رأيه ويتحوّل إلى طب الأعصاب، ويعمل

[1] برنامج مرافقة للمريض بعد خروجه من المستشفى وعودته إلى منزله. (المترجم)

في باريس، في السالبتريير تحديداً. "شغفي بالدماغ استمرّ"، قال، فهو اليوم اختصاصيّ بداء الصرع واضطرابات النوم، ورئيس قسمٍ في طب الأعصاب.

علاقته بابنه إيمانويل أوثق من ناحية التناغم الفكري، إذ يجمعهما الميل المشترك إلى الفلسفة والأدب والتاريخ والنظرة الملحمية إلى السياسة. "كنا نتحدث عن الثورة الفرنسية ونابوليون والحرب العالمية الثانية وعن ديغول... وكيف أقولها لك... لم يكن إيمانويل معجباً بكليمنصو"، قال مبتسماً في إشارة منه إلى بطل مانويل فالس.

هذا الرابط بينهما لم ينقطع، وإن كان لا يراه غالباً أو يحادثه، كما كانت الحال يوم كان أميناً عاماً مساعداً في قصر الإيليزيه. "في تلك الحقبة، كنا نخصص وقتاً لا بأس به للنقاشات في إجازات نهاية الأسبوع"، كما ذكر أنه زار ابنه مرتين في الإيليزيه، وأنه التقى "موسيو هولاند". ظاهرياً، يبدي اهتماماً بعالم السياسة لكن ليس إلى الحدّ الذي يوقعه في أسرها، فما يقلقه عنف هذا العالم المتفلّت من أيّ قيد أو شريعة، ويأسف للوقت المهدور بشراهة ووحشية. "مأساتي الكبرى، يقول ممازحاً، أنني متمسك بالسياسة!، لكنني أجد نفسي شاهداً عاجزاً أمام هذه السلطة التي هي، كأيّ سلطة أخرى، منقطعة عن الحقيقة ولا تتراءى إلا عبر مصافٍ مشوِّهة". وهو بدوره ضحية جانبية لارتقاء "مانو" السريع، إذ سلبته السياسة

ابنه، وجعلت منه كائناً غريباً وشخصيةً خرافية. تشتدّ حماسته على المسرح أثناء الاحتفالات الجماهيرية وهو أمرٌ يثير امتعاضه ("لأنه أصبح مبالغاً فيه قليلاً")، وتتصدر صورته مع زوجته غلاف *Paris Match* وهذا ما لم يعد يستسيغه. ابن لم يعد تماماً هو نفسه الذي عرفه ولا هو تماماً سواه: "بقدر ما أنا متوافق قليلاً مع أفكاره، بقدر ما أنا حسّاس قليلاً حيال كلّ ما يحمل طابعاً استعراضياً في حياته عبر وسائل الإعلام".

هو يشعر أيضاً بأن "مانو" أفلت منه، وأصبح نوعاً ما جان – كلود رومان[1] السياسة بابتداعه حياةً أخرى غير حياته الحقيقية، حياة عجيبة يمتزج فيها الواقع بالخيال. ارتقى السّلم بسرعة كبيرة بفضل ذكائه بالطبع، وبفضل عمله الدؤوب، ولكن أيضاً بفضل الكاريزما الواضحة التي يتمتع بها. ما يعرفه جان – ميشال ماكرون جيداً أن ابنه قادر على إغواء حتى الجماد، وهي قدرة ليست وليدة الأمس.

"دوماً تمتّع بكاريزما عجيبة، حتى في مطلع شبابه"، يقول معلّقاً وهو يتذكر ضاحكاً مقالةً قرأ فيها: "إن دخلت مكتب ماكرون، خرجت منه مقتنعاً دوماً". "هذا صحيح، فهو يتمتع بفضيلة مذهلة، وهو موهوب جداً في إقامة العلاقات الإنسانية، ولديه قدرة إقناع جليّة". ومع ذلك، لم يكن جان – ميشال

[1] مواليد عام ١٩٥٤. أوهم ذويه على مدى ١٨ عاماً بأنه طبيب وباحث، وحين شعر بوشوك افتضاح أمره، قتل زوجته وأولاده ووالديه عام ١٩٩٣. (المترجم)

ماكرون يتصوّر أن ابنه سينعطف نحو السياسة، بل كان يراه، بالأحرى، منخرطاً في نشاطاتٍ فكرية كأستاذٍ في الحقوق مثلاً، أو الاقتصاد، أو كاتباً...

لكن السياسة عالم شديد العنف، وبعيد جداً عن الحياة العائلية الهادئة أو النشاطات الفكرية... هو لا يزال يذكر ما قاله له إيمانويل يوم كان لا يزال في الإيليزيه: "الناس قساةٌ في مجالات المال، لكنهم يحترمون بعض القواعد، أما في السياسة، فما من ضربةٍ محظورة".

هذا الأب العطوف قلق بدوره، ومعجَب، لكن من دون انخداع، إذ ينظر أحياناً بعين متفحصة إلى هذا الابن الفريد الذي يعرف جيداً كيف يتأثر بالآخرين: هو "إسفنجة حقيقية"، يعرف أفضل من أيٍّ كان كيف يستمدّ من الآخرين غذاءه.

درس جان – ميشال اليونانية مع إيمانويل على مدى عامين أو ثلاثة (لم يكن المعهد اليسوعيLa Providence، حيث تلقى إيمانويل دروسه، يعلّم اليونانية)، كما درسها لاحقاً مع ابنته، واشترك معه أيضاً في دراسة "الفلسفة". "كنا نعقد جلسات مناقشة"، يقول متذكراً. عرّفه إلى نيتشه وميشال فوكو وليفي – شتراوس وألتوسير الذي يحتفظ على الدوام بكتبه في مكتبته... "كان يتصفّح غالباً مكتبتي"، يحلو له القول. كان يقرأ لكتّاب معاصرين من الحقبة التي كان فيها جان – ميشال نفسه في

المرحلة الثانوية. "كان لدينا ما بين عامَي ٦٨-٦٩ أستاذ متخرج في Normale sup[١] واصطحبنا إلى مؤتمر عقد هناك حول لاكان"، قال متذكراً.

جان - ميشال ماكرون، الذي لا يزال يزاول مهنته، يصف ولداً "كان يتمتع بجميع الصفات الحميدة: مرح، بالغ النشاط في العمل، لطيف". فتى صغير كان يجب، بالأحرى، حثّه على "ممارسة الرياضة بدلاً من تمضية وقته كلّه في العمل". كان يتردّد على النادي المقابل لبيتهم في هنريفيل، في الحيّ البورجوازي من أميان، للعب التنس أو كرة القدم. لكن، عدا السباحة، ما من رياضة كانت تستهويه، إذ كان يطوّر حسّ المنافسة لديه في مكان آخر، في كونسرفاتوار أميان حيث سجلته والدته لتعلم البيانو. "كان يصبو دوماً إلى الامتياز واستهوته اللعبة... فراح يمارسها في ألعاب أخرى"، يقول والده. أما والدته، فتتذكر أنه رسب في امتحان الدخول إلى السنة الأولى في الكونسرفاتوار على يد إحدى أستاذات المعهد، فحرص على أن يعيد التقدم إلى الامتحان في العام التالي ومعها هي بالذات. هل هو اعتداد بالنفس واستحالة تقبّل عجزه عن الإقناع؟ فهي صفة ستطالعنا لاحقاً حين يصبح إيمانويل ماكرون وزيراً، إذ كان جاهزاً دوماً للمواجهة المباشرة ولتصارع الأفكار. على أي حال، نجح الفتى

١ واحدة من أهم الجامعات الفرنسية وأرقاها. تعنى بإعداد عالي المستوى ثقافياً وعلمياً لطلاب البحث العلمي والتعليم العالي وإدارات الدولة. (المترجم)

ماكرون في امتحان الدخول إلى الكونسرفاتوار في المحاولة الثانية.

فتى يعيش في عالمه الخاص. متفرّد، لكنه "منفتح بما يكفي كي لا يبقى وحيداً"، يقول والده ضاحكاً. كان يعرف دوماً كيف يتدبّر أمره في النشاطات اللامدرسية، ليحتلّ الصف الأول، وكان منجذباً إلى الراشدين بدافع من الحشرية. وتتذكر والدته أنّ "الكتاب كان بين يديه مذ كان في الثانية من عمره. كان يضع القلم علامةً لفصل الصفحات، كما كان يرانا نفعل، زوجي وأنا". كنا نرى فيه المقلّد الصغير الحكيم، والولد البارز بين أقرانه، الذي كان أساتذته منبهرين به. لكنه كان يعاني صعوباتٍ في العلاقات الإنسانية... فتصحّح: "أبداً، في العائلة لم نقل إنه كان خارج المألوف". هو لم يكن الفتى الخارق، بل "فتى طبيعي ويحب اللعب"، فتى مختلف قليلاً على أي حال، ولم يكن لديه رفاق مقربون جداً. "كان على علاقة جيدة مع الجميع لكني لم أره مرةً مع صديق مقرّب. إيمانويل يقيم الكثير من الحواجز"، تقول فرنسواز نوغيس - ماكرون.

الفتى الصغير الذي تردّد، حتى سنته الابتدائية الثانية، على المدرسة الحكومية التي كانت تقع عند أطراف الحديقة، استرعى الاهتمام سريعاً. كان في الغالب عريف الصف. هو

نضجٌ مبكر ولا شكّ. بدأ يحسن القراءة في سن الخامسة، وكانت والدته تظن أنه يعاني متلازمة "فرط الاستذكار"[1] لأنه يتمتع بذاكرة خارقة، وبات يعرف منذ سن مبكرة جداً جميع الشخصيات الكبرى في الميثولوجيا اليونانية. ومن ثمّ، كانت لديه هذه الميزة في أنه "أحبّ على الدوام التكلم أمام العموم، حتى حين كان صغيراً جداً".

هل هو من النوع الذي يثير تفضيله انزعاج زملائه؟ في مقال من مجلة *Vanity Fair* في شباط/ فبراير ٢٠١٧، يتذكر أستاذه في مادة التاريخ في La Providence حيث تابع دراسته منذ الصف السادس، أنّ هذا التلميذ كان يبقى معه بعد انصراف زملائه لكي "يناقشه بجدية" بعد انتهاء الدروس. دوماً كان الأمر كذلك: إيمانويل مقرّب من أساتذته، منجذب فكرياً إلى من هم أكبر منه سنّاً. "كان لديه زملاء ولكن كانوا شديدي الإعجاب به... كان ذائع الصيت بين الجميع في الصف"، تؤكد أمه بإعجاب.

بناء على نصائح جدته التي كانت مديرة معهد سابقة، غادر إيمانويل (كما شقيقه وشقيقته) المدرسة الحكومية، وكان في الصف السادس، وانتقل إلى La Providence، وهو معهد يديره اليسوعيون. بدايةً، لم تكن تلك ثقافة المنزل، فالوالدان

١ حالة مرضية نادرة تجعل الشخص المصاب بها يتذكر كل لحظة في حياته بكل تفاصيلها ولا ينسى شيئاً مهما مرت السنوات. (المترجم)

ماكرون، اللذان رسّخا دوماً في أذهان أبنائهما أهمية العمل كوسيلة للتحرّر وتحقيق الذات، منحا أبناءهما ثقافة مبنية على الحرية في الدرجة الأولى. بالنسبة إليّ، يؤكد جان – ميشال ماكرون الذي يقدم نفسه لا أدريّاً، فإن الحرية هي العنصر الحاسم في مجالات كثيرة، و"إنني أؤمن بقوة الإقناع أكثر من إيماني بالإكراه"[1].

إن التعليم الصارم والتوجيهيّ الذي تميّز به اليسوعيون، والذي لا نقع على أثر له، في الواقع، إلا في La Providence، لم يكن يروق الوالدين اللذين، وفق بريجيت، كانا يتركان لأولادهما حرية التصرف من دون ضوابط، لكنّ الدافع إلى خيارهما كانت الضرورات التنظيمية تحديداً.

إذن، إيمانويل ولوران، وإيستيل، البنت الصغرى وهي طبيبة بدورها ولم تكن مقربة جداً من إيمانويل، تابعوا دروسهم في La Providence.

لوران الذي يصغر، بثمانية عشر شهراً، شقيقه إيمانويل "الذي جاء أوّلاً" وفق والدته، كان عليه أن يتدبّر مباشرةً مسألة المساكنة مع هذا الشقيق المثالي. أما عبارة "إيمانويل جاء أوّلاً"، التي تبدو بريئةً في الظاهر، فلا تعني أنه كان الابن البكر فقط، وأنه يملك امتياز الأوليّة، بل أنه كان أيضاً في المقدمة، ومن شأن ذلك التسبب

١ من مقابلة مع المؤلفة في ١٣ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

في العقد للذين يأتون بعده، أو كبح اندفاعتهم. وعليه، تأخر شقيق إيمانويل الأصغر في النطق، كما تذكر والدته. لذلك، قصدت طبيب الأطفال، وسألته باضطراب: "هل هناك ما يقلق؟"، فأجابها الطبيب: "نعم، هناك إيمانويل".

إيمانويل البالغ الكمال. إيمانويل الذي يجذب انتباه الكبار والمنجذب إليهم. إيمانويل المقرّب دوماً من أساتذته، والحريص على التحدث إلى من يكبرونه في السن، والذي كانت لديه عادة غريبة وهو في نحو الخامسة من عمره، إذ كان يلتقط العظاءات ويقطع لها أذنابها ويحتفظ بها في إناء، "فتنتشر رائحة كريهة في البيت العائلي في بانيير - دو - بيغور. كان ينطلق إلى صيد العظاءات، ويجمع الديدان اللمّاعة، ويهوى تفحّص عالم النمل"، تتذكر أيضاً والدته.

مهما تكن شخصية إيمانويل، فإن لوران، الذي أصبح طبيب قلب، لم ينسحق أمام شخصية شقيقه. لقد شقّ طريقه على نحو مختلف، فتميّز في لعبة التنس التي انخرط فيها مع مجموعة من الرفاق. وفي البيت، كان يستقبل وفود الرفيقات. باختصار: كانت فرص أخرى تشغله.

كان لدخوله في شجار مع إيمانويل، وهو أمر شائع بين الإخوة، خصوصيته، كما تقول والدتهما. فحين يحدث ذلك، كان لوران يدافع عن نفسه جسديّاً، أما إيمانويل فكان يردّ بعبارات

وبمبارزات خطابية. كما كان يقول أوديار[1]، الذي كان إيمانويل كما يبدو يحفظ بعض حواراته عن ظهر قلب، "غريب هذا الهوس لدى البحارة بصوغ العبارات"، لكن هذا الهوس بدأ باكراً لدى إيمانويل بوضوح.

---

١ هو ميشال أوديار (١٩٢٠ - ١٩٨٥). كاتب حوار وسيناريو، ومخرج سينمائي فرنسي، وكاتب وصحافي. (المترجم)

٢

مانو ومانيت، "لا أحب أحداً سواك"

"وانفصلتْ عن شحوبي ابتسامةٌ تقول: أنا موثقة إلى هذه الكائنات بألف خيط متين وما من واحد منها سينقطع. أحببت أشباهي هذا اليوم حبّاً جنونيّاً، أبعد بكثير من التضحية. نعم، أنا أحبكم هذا اليوم حبًّا جنونيًّا أيها الأصدقاء".

ذلك اليوم في ٤ شباط/ فبراير ٢٠١٧، وأمام جمهور حماسيّ احتشد في ملعب جيرلاند في ليون، استعان إيمانويل ماكرون بمقتطفات من *Feuillets d'Hypnos* لرينيه شار، على طريقة بومبيدو الذي استشهد بأبيات لبول إيلويار في أحد مؤتمراته الصحافية، ليوجّه مرةً جديدةً إشارةً إلى جدّته التي آمنت به، وتوقعت له مصيراً خارجاً عن المألوف. تلك الجدّة التي نمّت لديه ذائقة الأدب والشعر، ودفعته إلى اكتشاف شعراء وكتّاب من بينهم رينيه شار مؤلف هذا الاقتباس الشعري الذي ردّده المرشحون للانتخابات

مرّات ومرّاتٍ، والذي يناسب تماماً ذاك الأمير الصغير الافتراضيّ للسياسة: "افرض نصيبك، واحتضن سعادتك بقوة وامضِ نحو مجازفتك. فحين يشاهدونك، يعتادون".

لم تكن تلك المرة الأولى التي يلمّح فيها الوزير السابق والمرشح للرئاسة إلى جدته الحاضرة لديه باستمرار، فقد كرّس لها شعائر عبادة لا تبهت. هو الذي كان يتباهى برفضه الانسياق وراء وسائل الإعلام والتطرق إلى حياته الشخصية – مع أنه لا يمانع، حين تقتضي الظروف، أن تلتقط له *Paris Match* صوراً لغلافها – يرضى رغم ذلك، ولأكثر من سبب، بالتطرق إلى ذكرى تلك الجدة التي فارقت الحياة عام ٢٠١٣، والتي يدين لها بالكثير. كتب عن ذلك يقول: "لم يمرّ يومٌ من دون أن أفكر فيها، أو أبحث عن نظرتها. نظرة التشجيع، والرضا والحب". نظرة يفهم منها أنه "جديرٌ بما تعلّمه منها". جيلان ربما يفصلان بينهما لكنهما كانا متفاهمين تماماً، ويتبادلان الاهتمامات نفسها.

ترى، هل كان يتوجه إليها في ختام لقائه عند بوابة فرساي في باريس باستحضار بركة المسيح على روحها حين شبك ساعديه في شكل صليب؟ أو هل كان يفكر فيها حين كان ينشد المارسييز مغمض العينين، ويده على قلبه في ليون، كما لو كان مسحوراً ومنجذباً إلى عالم آخر، عالم أحلام طفولته السحري؟

ربما كانت تقوده الذكرى إلى تلك السنوات في أميان، وإلى شقة جدته في مبنى ديلبيش على بعد دقائق من منزله العائلي، وإلى تلك اللحظات المنفصلة، كما لو كان معلقاً في الزمن، حيث الفتى الصغير الذي كانه كان يلتقي تلك المرأة التي "فتحت أبواب المعرفة والجمال والمطلق ربما" أمام أجيال من الطلاب، فتياتٍ في الغالب من بيئاتٍ متواضعة، مثلها، ولكن أيضاً أمام ذلك الفتى الصغير الذي كان يسعى وراء المطلق.

إنها جدته، تلك التي كان يأتي على ذكرها غالباً في لقاءاته العامة، في نيفير وباريس وليون. هي التي اكتشفته، والتي كانت لهذا الفتى الوحيد الذي يكون في أتمّ انشراح بين الناس "صديقته" وكاتمة أسراره ومعلمته الخاصة، وحتى أمه الثانية حتى لو كانت له أمٌّ "حقيقية". ثمة شيءٌ أكيد: هذه الجدة التي كان يستمتع لديها بتذوق الشوكولا الحارّة "فيما يستمع إلى شوبان ويكتشف جيرودو"، والتي كان يحتل عندها "الأدب والفلسفة وكبار الكتّاب المرتبة الأولى قبل أيّ شيء آخر"، وعلى يديها نما وكبر. صرفت الساعات الطوال على تعليمه القواعد والتاريخ والجغرافيا، كما علمته "أن يقرأ قربها، وبالصوت العالي، موليير وراسين وجورج دوهاميل الكاتب شبه المنسيّ الذي كانت تحبه، ومورياك وجيونو"، كما يتذكر إيمانويل ماكرون في كتابه.

هذه الجدة المحبوبة والموقّرة كانت تدعى جرمين. جرمين نوغيس. لكن ما من أحدٍ كان يناديها باسمها، ولم تكن من النوع الذي يستحسن أن يطلق عليه لقب "جدة" أو "تيتا"، فهو في نظرها لقب عادي جدّاً، ويحط من قدرها، بل كانت تُنادى مانيت، وهو اسم اهتدت إليه إحدى قريبات إيمانويل. بالنسبة إلى مانيت، كان "مانو" هو الفتى الذي اختارته. نعم، هو المختار. بين الحبيب المدلل والحفيد المفضل ليس الأمر سيّان، إذ إن الواحد منهما هو الذي اختار الآخر، كما تؤكد بريجيت ماكرون، مذ كان إيمانويل في الرابعة أو الخامسة من عمره، واكتشفت جدته أنّ هذا الحفيد ليس صبيًّا كالآخرين. "لم يكن حفيداً تقليديًّا"، تقول بريجيت ضاحكة.

بناءً على ذلك، ارتبطت مديرة المعهد السابقة بعلاقة ليست ككل العلاقات مع الفتى ذي الوجه الملائكي. علاقة حصرية، قويّة ومتطلبة، وغير مألوفة بكلّ ما للكلمة من معنى، يجتمع فيها الحب والتعلق اللذان استمرّا حتى رحيل مانيت. علاقة بلغت من القوة درجةً باتت معها مربِكةً أو صعبة الفهم بالنسبة إلى الآخرين، وفي الدرجة الأولى بالنسبة إلى والدة إيمانويل، فرنسواز، كما مرّ بنا، إذ آلمها أنها وجدت نفسها مستبعدةً ومحرومةً هذا الابن الذي رغبت فيهِ بشدة، والذي تناديه جدته أحياناً "ابنها"، في التباسٍ ذي دلالة... وبالنسبة إلى والده أيضاً،

الذي كان يحتجّ أحياناً على التأثير القويّ الذي تمارسه تلك الجدة في ابنه.

أما بالنسبة إلى شقيق إيمانويل وشقيقته، فكانا بدورهما محطّ اهتمام جديهما لوالدهما، اللذين كانت فرنسواز مقرّبة منهما كثيراً، فيما كانت علاقتها متوترة مع الذائعة الصيت: مانيت.

لقد أدركت بريجيت أن لا سبيل إلى تحطيم تلك العلاقة الاستثنائية أو تحجيمها، فذلك كان ضرباً من المستحيل ومسألةً خارج البحث، لأنّ مانيت كانت "دعامةً" أساسية لإيمانويل، ولأنهما كانا يعيشان قصة حب فريدة ونقية وقوية وغير قابلة للتحطيم. علاقة بين جدة وحفيدها، وكل الذين عرفوا مثل هذه العلاقة مع أجدادهم، ومن بينهم من هم "مقرّبون" من إيمانويل، متفقون بالإجماع: مثل هذه العلاقات لا تتكرّر في الحياة. هذا ما أشار إليه مثلاً فرنسوا هنرو، الشريك المفوض لدى روتشيلد وشركائه، والذراع اليمنى لدافيد روتشيلد، الذي يقول بلهجة العارف: "ربما حين تحبك جدة حبّاً كبيراً وتقول لك إنك رائعٌ، فإنّ ذلك يشيع في نفسك شعوراً بالراحة والطمأنينة"[1].

وفي موقف متفهم، ساندت مانيت علاقة الحب الفريدة بين حفيدها وبريجيت ترونيو، التي كانت مدرّسة في معهدها.

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٢٦ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

"لكن ذلك لم يتمّ مباشرةً. في البداية، لم تتقبّل الأمر، ثم جرت الأمور بسرعة"، يقول إيمانويل ماكرون ضاحكاً، في تلميح إلى قدرة الإقناع لديه التي لا تقاوم[1]. ومع الوقت، أصبحت مانيت حليفة العاشقين والمدافعة عنهما. "لو لم توافق، ما تمّ شيء"، تقول بريجيت التي تذكر أن إيمانويل حين انتقل إلى باريس، كانت تتردّد غالباً على الجدة الشهيرة، وتمضي مدد بعد الظهر بكاملها في منزلها، القريب من منزل عائلة ماكرون، تتبادلان الحديث في الأدب. "كان لديها شغف بلافونتين، وهو شغف كنت أشاركها فيه"[2]. وحين كان إيمانويل يعود من عمله في مصرف روتشيلد، كان لا يتردّد في الاتصال بمانيت مهما يكن الوقت، ويغرقان في حديث يستمر أحياناً قرابة الساعة. حديث كان لا بدّ منه. "ليس إيمانويل بحاجة إلى أحد. هو إسفنجة، يتلقى ويختزن. وإن كان قد بلغ هذه المرحلة، فالفضل يعود إليه وإلى جدته"، تقول بريجيت ماكرون التي تتذكر كم كان أمراً "غير قابل للتصديق" رؤيتهما معاً، وسماع الجدة تقول لحفيدها الأثير: "لا أحبّ أحداً سواك".

بداية هذه العلاقة الفريدة ترقى إلى المرحلة التي كان فيها إيمانويل في المدرسة الابتدائية. في تلك الأثناء، كان كثيراً ما يقصد مانيت ليتناول عندها طعام الغداء، لكنه يعود إلى النوم

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٢٨ شباط/ فبراير ٢٠١٧.
٢ من مقابلة مع المؤلفة في ١٧ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

لدى والديه.

كيف يمكن تفسير هذه الروابط الفريدة؟ لم تكن مانيت تتّسم بصفة "الجدة السمحاء" لشدّة تطلّبها، فقد تلقت تربية قاسية جعلتها تبدو وريثة جنود الخيّالة السود الذين تحدث عنهم شارل بيغي، أولئك المدرّسين في الجمهورية الثالثة، الذين أخذوا على عاتقهم تثقيف الشعب الفرنسي.

ولدت في عائلة أريبيه وهي عائلة متواضعة في بانيير - دو - بيغور، من والد يعمل رئيس محطة وأمّ عاملة في المنازل، وكانت الوحيدة التي تابعت دراستها بعد نيلها شهادة البريفيه، وهو أمر مثير للاهتمام لأن والدها "كان يقرأ بصعوبة من دون أن يفهم معنى ما يقرأ"، ووالدتها، الأميّة الشهيرة التي لمّح إليها إيمانويل ماكرون حين أثار حقوق الأجيرات في مؤسسة Gad، لم تكن تعرف القراءة، كما روى الوزير السابق في كتابه. وقد لفتت جرمين نظر أستاذ فلسفة في الصفوف النهائية فشجّعها على دراسة الأدب بالمراسلة واستطاعت أن تحصّل، كما يتابع وريثها، "سنواتٍ قليلةً قبل الحرب، شهادةً تسمح لها بممارسة التعليم في نيفير، مصطحبةً معها والدتها التي كانت، كما نسميها اليوم امرأة مغلوبة على أمرها"، وهي صفة لازمتها حتى النهاية.

كانت جرمين نوغيس امرأة ذات شخصية قوية، ومعلمة متميزة

من النوع النادر بين الوافدين على المهنة، من صنف أولئك المعلمين الذين يَسمون بك إلى الأعلى كمثل ذلك المعلم في فيلم Cercle des poètes disparus[١].

لكنها امرأة باستطاعتها أن تكون قاسية أيضاً. ابنتها، فرنسواز نوغيس – ماكرون، والدة إيمانويل، تتحدث عنها كامرأة حافظت على صلابتها حتى موتها عام ٢٠١٣، وهي في السابعة والتسعين من عمرها. "امرأة استثنائية حتى النهاية"، وقد كانت، قبل شهر من وفاتها، تردّد أشعاراً لبودلير مع إيستيل، شقيقة إيمانويل. امرأة مثقفة كانت تتملّص من اجتماعات العائلة لكي تسجن نفسها، وغالباً أيام الأحد، في مكتبها للقراءة والاستماع إلى الموسيقا الكلاسيكية، والتدخين. امرأة في استطاعتها أن تكون "رهيبة، وكثيرة التطلب" حين يتعلق الأمر بالعمل. وتتذكر ابنتها أنها بعدما درّستها فولتير، انتقلت بها إلى كلّ ما له علاقة بالأدب... ولم تتردد في إعلان أنّ العلاقة كانت صعبة، وأحياناً متشنجة، بتلك الأم التي ما إن تراها في المطبخ حتى تبادرها: "ابنتي المسكينة، لن تضيعي وقتك في مثل هذه الأعمال!".

هذا التصلب مارسته أيضاً على إيمانويل – "لم تكن تتغاضى عن أمر، لم تكن تعرف سوى العمل"، تقول بريجيت ماكرون – ولكن أيضاً على أحفادها الآخرين، الذين كانت تعاونهم في

١ "حلقة الشعراء الراحلين" للمخرج بيتر وير، من بطولة روبن ويليامز. (المترجم)

الاستعداد لامتحانات البكالوريا الفرنسية.

زوجها، وكان يدعى "كولو"، كان رجلاً لطيفاً ونشيطاً، وكان مدرّساً بدوره. كان يأتي بانتظام لتناول العشاء لدى والدَي إيمانويل، ويلعب غالباً الشطرنج وكرة الطاولة مع الأولاد. أما مانيت، فلم تكن تظهر على العلن. ووفق صهرها جان - ميشال ماكرون، ما إن بلغت مديرة المدرسة القديمة سن التقاعد، وهي التي كانت تربطها بزوجها علاقة اجتماعية أكثر منها حقيقية، حتى انسحبت أكثر فأكثر إلى "شرنقتها" وسجنت نفسها فيها. "كان إيمانويل هو نافذتها على الخارج، وكانت شديدة التعلق به"، كما يحلل صهرها، وهو يتذكر أنها كانت تراقب ما يفعله، وتقتطع له مقالات من صحيفة *Le Monde* تجدها مثيرةً للاهتمام، حتى أنها حضّرت له بطاقاتٍ بحثية حين كان يتابع دراسته في Sciences-Po[1].

لم يخفِ والد إيمانويل ماكرون انزعاجه، كما مرّ بنا، من الاستغلال الإعلامي لتلك الجدة من أجل إبرازها في صورة بهية تليق بارتقاء فتاة من الشعب، لكن ذلك لم يمنع ابنه من أن يبقى شديد التعلق بجدته حتى أيامها الأخيرة.

حين تردّت صحة مانيت في نيسان/ أبريل ٢٠١٣، كان إيمانويل، الذي أصبح مديراً عاماً مساعداً في الإيليزيه منذ أيار/

١ هو "معهد باريس للدراسات السياسية": مؤسسة عامة للتعليم العالي والأبحاث في حقول العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلاقات الدولية. (المترجم)

مايو، يتصل بها كل يوم. وفي صبيحة ١٣ نيسان/ أبريل، وكان يوم سبت، اتصلت به والدته وهو في اجتماع لتبلغه "أن الوضع سيئ"، فتوجه بسيارته مباشرة إلى أميان. "مانو"... تمتمت مانيت، التي يبدو أنها كانت غائبةً عن رشدها منذ مساء البارحة، اسم حفيدها الذي كان لا يزال عند مدخل الشارع، ولفظت أنفاسها بين ذراعيه وتحت أنظار ابنتها.

وضعٌ مماثل شهده رجل سياسة آخر في القرن الماضي، عام ١٩٣١، (مع أنه كان أصغر سناً، في الخامسة عشرة)، هو فرنسوا ميتران الذي فقد جدته المحبوبة في جارناك في مقاطعة شارنت. كان اسمها أوجيني لوران، وتلقب "ماما نيني". كانت كاثوليكية تقية، وتسنى له سماع كلماتها الأخيرة. وقد قال بعد سنوات طويلة على رحيلها: "حين ماتت جدتي، اعتراني الجمود وأنا جالس في مقعدي، وعيناي تفيضان بالدموع على مدى ساعات (...) ليس الموت انفصالاً موقتاً. لذا ظلت أنظاري تشيّعها حتى غابت في نعشها (...). إنني لا أزال أحتفظ بامتياز حب حقيقي"[١].

يوم تشييع مانيت، الذي اقتصر على أفراد العائلة، في منطقة هوت - بيرينيه، حيث معقل عائلة نوغيس (لاحقاً أقيم قداس لراحة نفسها في كنيسة سان - مارتان في أميان)، ألقى إيمانويل

١ فرنسوا ميتران، *Ma part de vérité* [**نصيبي من الحقيقة**]، كتاب محاورات مع آلان دوهاميل، فايار، ١٩٦٩.

خطاباً مؤثراً. ومن ذلك اليوم، وليس في هذا شكّ، لا يمرّ يوم من دون أن يفكر في مانيت، وفي "امتياز ذلك الحب الحقيقي" الذي تحدث عنه فرنسوا ميتران...

٣

عيش وحبّ

"ليفهم من يريد أن يفهم، ندمي هو الضحية المعقولة التي تحمل نظرة طفل ضائعة، تلك التي تشبه الأموات الذين ماتوا من أجل أن يحظوا بالحب...".

التاريخ ٢٢ أيلول/ سبتمبر ١٩٦٩. جورج بومبيدو الذي كان قد انتخب حديثاً رئيساً للجمهورية الفرنسية يعقد مؤتمراً صحافيّاً في الإيليزيه، فيطرح عليه صحافي من إذاعة مونتي كارلو سؤالاً عن انتحار غابرييل روسييه بالغاز قبل ذلك التاريخ بوقت قصير. لم يجب الرئيس للتوّ، بل صمت طويلاً، ثم أسند مرفقيه على الطاولة أمامه وشبك يديه ثم نظر إلى الحضور، وبصوت أجشّ ردّد هذه الأبيات لإيلوار، التي كتبها في إشارة إلى النساء الحليقات الرؤوس[1] عند التحرير.

١ هنّ النساء الفرنسيات اللواتي تعاملن مع جنود الاحتلال الألماني ما بين عام ١٩٢٠ ونهاية الحرب العالمية الثانية، فعوقبن بحلق رؤوسهنّ إذلالاً لهنّ. (المترجم)

غابرييل روسييه... الحدث المأسوي الذي هزّ فرنسا في تلك الحقبة. كانت غابرييل روسييه في الثانية والثلاثين من عمرها. امرأة مطلقة منذ بضع سنوات ومعلمة مجازة في الآداب في ليسيه سانت اكزوبيري في مرسيليا، وأمٌّ لتوأمين. وخطؤها؟ لقد أقامت علاقة مع أحد تلاميذها ويدعى كريستيان روسي، وهو طالب في الصفوف النهائية، في السابعة عشرة. حكاية نمت باندفاع ولا مبالاة في أيار/ مايو ١٩٦٨ وأدّت إلى دعوى رفعها والدا الفتى على تلك المعلمة بتهمة التغرير بقاصر، فاعتقلت وسجنت خمسة أيام في بوميت، في كانون الأول/ ديسمبر من ذلك العام، ثم ثمانية أسابيع في نيسان/ أبريل قبل أن يحكم عليها بالسجن اثني عشر شهراً، وبغرامة ٥٠٠ فرنك، في تموز/ يوليو ١٩٦٩، ما دفعها إلى وضع حدٍّ لحياتها. حكاية مأسوية ألهمت شارل أزنافور أغنيته الشهيرة Mourir d'aimer[1]، وأندريه كايات فيلمه الذي حمل العنوان نفسه، والذي أدّت بطولته آني جيراردو عام ١٩٧١.

امرأة ثلاثينية ومعلمة لغة فرنسية وربة عائلة، وشاب هو تلميذها في مادة المسرح، ومدينة في الأقاليم، ووالدان قلقان. صدمة أخلاقية؛ "هو في ربيع عمره وهي في خريفه"، "أناس حاقدون في مواجهة أنفسهم بأفكارهم التافهة"، كما غنى

١ "الموت حبًا". (المترجم)

أزنافور في Mourir d'aimer... أوجه التشابه عدة بين حكاية كريستيان روسي وغابرييل روسييه، وحكاية أخرى حدثت فصولها بعد أربعة وعشرين عاماً من ذلك التاريخ، بين إيمانويل ماكرون وبريجيت أوزيير التي ستصبح زوجته، والتي حملت قبل زواجها اسم عائلة ترونييه. نقاط مشتركة مع مصير مختلف: في الحكاية الأولى أحد بطلي الحكاية اختار الموت حبًّا، وفي الثانية اختار كلاهما العيش و... الحب، واقتناص الفرصة وفرض سعادتهما فرضاً...

"حبّ نما سرّاً في البداية، وغالباً في الخفاء، ولم يتفهمه كثيرون قبل أن يفرض عليهم"، يقول إيمانويل ماكرون في كتابه *Révolution*، لكنه "حبّ استطاع أن يخرج إلى العلن بقوة الصمود والإصرار".

بالطبع، فرنسا عام ١٩٦٩ هي غيرها فرنسا ١٩٩٣، وبومبيدو يختلف عن ميتران. ليس بينهما الكثير من الجوانب المشتركة، كما يقول، ضاحكاً، والد إيمانويل ماكرون، "فقد مرّ زمن طويل منذ حادثة روسييه"، وبات من السهل على والدَي إيمانويل، الحريصين على التنويه بذلك، ألا يتقدّما بشكوى في تلك المدة ضد بريجيت أوزيير بتهمة التغرير بقاصر.

مع ذلك، ثمة حقيقة لا يرقى إليها الشكّ، وهي أنّ اقتحام

ذلك الحب حياة ابنهما زعزعهما، وأحدث بعض الضجة في الحيّ البورجوازي في أميان حيث يقع معهد اليسوعيين العريق La Providence الذي كانت بريجيت تدرّس فيه وإيمانويل يتابع دروسه. ورغم فكرهما المتحرّر، لم يصفق والدا إيمانويل فرحاً حين تبلّغا الخبر، حتى لو كانا يسلّمان منذ زمن بأن ابنهما كائن لا يقارن بالآخرين. لامع، أنيس، محبوب في المجتمع، وجدير بإثارة إعجاب سامعيه مهما يكن نوعهم، لكنه في العمق متصالح مع نفسه وفي تفاهم مع جدته. إيمانويل يحب القراءة، همّه القراءة والقراءة. هو نوعاً ما خارج العالم، أو في عالم خلقه لنفسه. إنه يعيش "من النصوص والكلمات"، كما ذكر هو نفسه في كتابه *Révolution*، ولم يثر اهتمامه سوى مجالين آخرين: البيانو والمسرح.

وعن طريق المسرح، التقى بريجيت أوزيير. الحكاية رواها إيمانويل ماكرون بنفسه:

> في الثانوية، وعن طريق المسرح، التقيت بريجيت. ومن دون أن أدري، وجدت نفسي واقعاً في غرامها، عبر تناغم فكري تحوّل يوماً بعد يوم إلى تقارب محسوس، ثم، ومن دون أيّ جهد من جانبنا، إلى شغف لا يزال مستمرًّا حتى اليوم.

لا بدّ من الإشارة، هنا، إلى النقاوة الرومانسية في عبارة "تقارب محسوس".

بدورها، تتذكر بريجيت أنها حين جاءت إلى La Providence "لم يكن للمعلمين جميعاً حديث إلا عن إيمانويل". ابنتها التي كانت زميلته في الصف حدثتها عن هذا "المجنون" الذي "يعرف كلّ شيء عن أيّ شيء". كانت معلمة لغة فرنسية، ولم يكن من بين تلاميذها (في المقابل، شقيقه لوران وشقيقته إيستيل كانا تلميذيها)، بل تلميذها في صف المسرح. وسرعان ما وقعت تحت سحر "ذكائه الاستثنائي وطريقته في التفكير، التي لم أقع على مثيل لها". "كنت مندهشة على الدوام"، صرّحت باندفاع. "هذه كانت حاله في اللغة الفرنسية والتاريخ والجغرافيا. وحدها الرياضيات شذّت، لقد كان ماهراً فيها ولكن ليس إلى حدّ البراعة"، ثم أضافت: "كان يحفظ كلّ شيء، ويرتّب الأمور في موقعها المناسب في عقله. ثمة تنظيم في تفكيره"[١].

وسريعاً جداً، بدأ الحب والمصادفة المدبّرة تقريباً لعبتهما في نسج خيوط علاقة أبعد من حدود العلاقة الأدبية بين هذين الشخصين اللذين كان كلّ شيء يفصل بينهما. وككل عاشقين رومانسيين مندفعين، بدأ كل شيء بالكلمات. "كنا نمضي ساعاتٍ معاً كلّ يوم جمعة، وعلى مدى أشهر، في كتابة مسرحية، وقرّرنا

١ من مقابلة مع المؤلفة في ١٠ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

إخراجها حين أنهينا كتابتها. كنا نتحدث عن كل شيء، وأضحت الكتابة ذريعة. واكتشفت أننا كنا متعارفَين على الدوام"[١].

بعد ذلك بسنوات، وبالاندفاع والانفعال نفسيهما لذلك اللقاء الخارج عن المألوف، باحت بريجيت لأحد أصدقائها: "من اليوم الذي بدأنا فيه كتابة تلك المسرحية معاً، شعرت كأنني أعمل مع موزار!".

بريجيت، التي كانت في التاسعة والثلاثين، حاولت الصمود أمام هذا الحب. فهي أولاً امرأة متزوجة وأمٌّ لثلاثة أولاد، وتحيا حياة برجوازية مريحة أقلّه من الناحية المادية. لكن هذا ليس كلّ شيء. لم تكن تأتي إلا نادراً على ذكر أندريه - لويس أوزيير، زوجها السابق الذي يعمل في الحقل المصرفي، هل هو من باب التعفف والتكتّم، لأنّ ثمة أشياء لا تريد قولها، أم هي لا تستطيع؟ على أيّ حال، لم يؤمّن لها زوجها السعادة بالتأكيد، وإلا كيف نفسر مقدار المجازفات التي دفعت نفسها إليها؟ وترك نفسها تنساق وراء عهود فتى ذي مظهر رومانسي وليس له من العمر سوى ستة عشر عاماً؟ مراهق ذو شعر أشعث ونظرة بريئة وثاقبة عاهدها أنه بعد ذهابه إلى باريس لمتابعة دروسه سيعود ويلتقيها؟ "سأعود وسأتزوجك"، قال لها مفعماً بثقة الشباب.

ووفّى بعهده على لسان جيلبير بيكو الذي غنى: "سأعود

١ إيمانويل ماكرون، *Révolution*.

وألتقيك... أعرف أنك تنتظرينني... أعرف أن أحدنا لا يستطيع الاستغناء طويلاً عن الآخر...".

في تلك الحقبة، كانت الطريق أمام إيمانويل ممهّدة، إذ حقق نجاحات في دراسته بسهولة مذهلة. في مدرسة La Providence، كان الصف مثل نزهة للفتى المراهق. ولم تكن الفتيات في رأس اهتماماته كما يبدو. يتذكر والداه فتاةً مغرمة زارتهم مرةً في بيتهم في أميان. "كانت في مثل سنه، لطيفة وابنة أحد الزملاء الأطباء في الحي. استمرت تلك العلاقة بضعة أشهر"، كما يؤكد والد إيمانويل الذي ذكر أنها كانت من بين تلاميذه في كلية الطب... والدة إيمانويل تحدثت بدورها عن "علاقة حب في شبابه مع إحدى بنات صفه".

مهما تكن الظروف، فإن علاقة الحب تلك لم يعد لها أثر بعد لقائه بريجيت، بفعل حتمية اللقاء من جهة، ورغبة في المطلق لا ترتوي ويشترك فيها الطرفان، من جهة أخرى. الوالدان اللذان توهّما بدايةً أن ابنهما على علاقة مع ابنة بريجيت، لورانس أوزيير، التي كانت زميلته في الصف، عرفا بأمر تلك العلاقة مصادفةً، إذ اتصل أحد زملاء إيمانويل يسأل عنه لترتيب لقائهما نهاية الأسبوع، بعدما كانا قد اتفقا على مراجعة دروسهما استعداداً لشهادة البكالوريا الفرنسية لدى جدّة ذلك الزميل المقيمة قريباً من شانتيي. ففهمت فرنسواز عند ذلك أن "مانو" الذي كان يتصل بها

يومياً ليطلعها على أخباره، وعلى تفاصيل يومه ("ركبنا الدراجة وكم كان ذلك رائعاً")، لم يكن في شانتيي.

في نهاية الأسبوع، قصد الوالد المحطة لاصطحاب ابنه الذي يفترض أنه عائدٌ من أسبوع مراجعة دروس مع زملائه. وارتفع صوتاهما حين دخلا إلى المنزل. "ما كان يهمني ليس أن يكون على علاقة ببريجيت، بل أن يكون حيًّا ولم يُصب بمكروه"، قالت فرنسواز نوغيز - ماكرون.

هذه الرواية لا تتطابق مع ما يرويه الأب. فكما ذكر، زوجته السابقة هي التي فقدت السيطرة على نفسها. "أما أنا، فقلت في نفسي، لا بدّ من أن يتجاوز هذه الحالة، وذلك انطلاقاً من تفكيري العمليّ واقتناعي بأنّ الحرية هي التي تحسم الأمور في عدد من المجالات"، ثم أضاف: "لم أكن قلقاً، لكن لدى إيمانويل دروساً عليه إتمامها، ويجب ألا يفسد كلّ شيء".

جان - ميشال ماكرون لا يتستّر على ما حدث له: حين علمت بعلاقتهما "صدمت"، وكأنني تعرضت لسقطة. الأم، من ناحيتها، قالت: "حين التقى إيمانويل بريجيت، من المؤكد أننا لم نقل: مرحى إذن!". وهي أكدت أن والدتها، مانيت الذائعة الصيت، كانت "توفيقية جدّاً". وأضافت: "والدتي التي لم تكن لتتساهل قطّ في مثل هذا الوضع معنا، أولادها، فقد أبدت الكثير من التفهم

والتسامح مع الاندفاعات الغرامية لأحفادها"[1].

في تلك المرحلة، قرّر والدا إيمانويل، اللذان خضّتهما الحادثة، لقاء بريجيت والطلب منها التوقف عن لقاء ابنهما حتى بلوغه سن الرشد. في الحقيقة، لم يكن جان – ميشال ماكرون مقتنعاً بصواب هذا الحلّ، "لا، بل كنت أعتقد أن ذلك قد يؤدي إلى مفعول عكسي"، لكن نزولاً عند إصرار زوجته، أعلن، في دورٍ لا يلائمه على الإطلاق: "إنني أمنعكِ من رؤيته حتى يبلغ الثامنة عشرة". "لا أستطيع أن أعدك بشيء"، أجابته بريجيت، باكيةً، في حين أن والدة إيمانويل، التي أدركت منذ البداية، كما تقول، أن تلك ليست نزوةً موقّتة وتمرّ، قالت لها: "أنت لا تدركين أمراً، لقد تزوجتِ وأنشأتِ عائلة، أما هو، فلن يكون لديه أولاد!".

من الواضح أنّها ليست مواجهة بين عائلة كابوليه وعائلة مونتاغي[2] بالنسخة الأميانية، مع أن الحكاية، التي تدور في مدينة صغيرة من الأقاليم مثل أميان، هي مع بريجيت أوزيير، معلمة اللغة الفرنسية القديرة لدى اليسوعيين، المتزوجة، والأم لثلاثة أولاد، والمتحدرة من عائلة ترونيو المعروفة منذ أجيال بصناعة الحلوى، وكل ذلك يثير الكثير من النميمة والثرثرة. صارت تلك الحكاية مادة لأحاديث الناس لدى خروجهم من

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٢٠ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.
٢ في إشارة إلى عائلتي كلّ من روميو وجولييت في مسرحية شكسبير الشهيرة. (المترجم)

القداس، أقله، بالنسبة إلى من لا يزالون يترددون على الكنيسة.
هكذا، تتذكر فرنسواز نوغيس - ماكرون ردّ الفعل الملهوف لإحدى موظفات الاستقبال في المستشفى حيث كانت تعمل: "لكن، ماذا حلّ بك، فكرت فيك كثيراً، إنه لأمر رهيب!"... كأنها فقدت أحد أفراد أسرتها!

على أيّ حال، جاء قرار إيمانويل بالانتقال إلى باريس لمتابعة سنته المدرسية الأخيرة في وقته المناسب. هل كان لعلاقته ببريجيت دور في اتخاذ هذا القرار أو تسريعه؟ وهل وجد فيه الأبوان وسيلة لإبعاده عن حبيبته؟ هما ينفيان ذلك، ويحتجّان بشدة على الرواية التي تزعم أنهما طردا ابنهما.

وبالطبع، انتقل الفتى الفائق الذكاء والغارق في الحب إلى العاصمة، وتوصل بفضل تصميمه وبمساعدة جدته إلى فرض نفسه وفرض حبه على الجميع، وذلط في تصرّف لا يخلو من الجرأة، إذ جعل منه أسطورة، وأطلق شخصية رومانسية. لكنّ الواقع أشدّ تعقيداً، حتى لو أن إيمانويل ماكرون ناضل لفرض خياره، كما ستكون الحال لدى تقدمه إلى الانتخابات الرئاسية: "نعم، ناضلت لكي أحيا حياتي الخاصة والمهنية. ناضلت ولم يكن ذلك بالأمر السهل، ولا بالبديهي أو الآليّ، ولا هو يتلاءم مع التصورات القائمة"، قال بحماسة[1].

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٢٨ شباط/ فبراير ٢٠١٧.

حين سئل هل طرد من منزله، أكد إيمانويل ماكرون أن لا أساس لهذا الخبر من الصحة، لكنه حرص على التذكير بأن والديه في البداية "لم يتقبّلا الأمر". "وكان لا بدّ من اللجوء إلى قدرة الإقناع... لقد فكّرا أكثر من مرّة أنّ العلاقة لن تستمر، وبذلا جهدهما للحؤول دونها بالطريقة الطبيعية على أيّ حال. أما أنا، فلم أكن أدري كيف كان يمكن أن أتصرّف". بدا تأثره عميقاً وهو يستعيد تلك المرحلة الأليمة، وتابع: "إنّه لأمرٌ قاسٍ أن تعيش مثل هذه التجربة لكنها تجعلك أقلّ بلاهة بمعنى أنها تشعرك بأنك نضجت قبل وقتك. من جهة، هناك الموانع العائلية، ومن الأخرى هناك الحياة الاجتماعية والانكباب على الدروس ومباشرة العمل، فتبديل نمط الحياة أمر بالغ القساوة. وسط كل هذا، عليك أن تصارع لتقبّل الأمور، وتحمّل الصعوبات وعيش حياة لا تتطابق في شيء مع ما يحياه الآخرون". وبعد توقف قصير، يضيف: "هذا ما عانيناه خلال خمسة عشر عاماً. أما اليوم، فالوضع بات تحت السيطرة لأننا أردنا ذلك. وهذا لم يحدث بين ليلة وضحاها".

تلك السنوات الخمس عشرة بدت أبدية في نظر الوزير السابق. أبدية عليك أن تحياها على الهامش. ليس كالمنبوذين، ولكن في عالم يوازيه. خمسة عشر عاماً من السهر على "التوازنات العائلية التي كانت قائمة"، والسعي إلى أن تفرض نفسك "على التصوّرات الجماعية، وعلى المنطق الذي هو وليد تلك التصوّرات. وذلك

يفترض ألا تعيش في أيّ لحظة كما يريد الآخرون، لأنك تمضي سنواتٍ وأنت في غربة عنهم، وأحياناً عن محيطك، وبالطبع عن الأشخاص الذين لا يعرفونك جيداً لكنهم يسلطون عليك أنظارهم"[١].

وهكذا خرج الكلام دفعة واحدة، كالغضب المكبوت، وكطريقة أيضاً لتفسير ذلك الجانب غير القابل للمساومة لدى بريجيت. طريقة يستنتج منها أنه ما دام قد نجح في اجتياز تلك التجربة، وفي فرض خياراته رغم صغر سنه، والهزء من أولئك الذين ينظرون إليه شزراً، ومن الآراء المجافية لمجرد أنّ "المرأة التي في سريري لم تعد في سن العشرين منذ زمن بعيد"، كما يغني ريجياني، فذلك يعني أنه يمكنه أيضاً أن يفوز بفرنسا... وبالمناسبة، تبيّن أن هذه المغامرة العاطفية جعلته يقطع مسافات هائلة كالمنتعل الحذاء السحريّ: انتقل مباشرة من الطفولة إلى الرشد، من دون أن يعيش مراهقته كما يجب. لذلك ربما، يقول مبتسماً: "لا أفهم شيئاً عن المراهقين". كنت طفلاً لمدة طويلة وصرت راشداً. "هذه المرحلة المتقلبة من العمر لم أرد أن أحياها". ولا بدّ من الاعتراف اليوم أنّ مجرّد تقبّل والديه له ولبريجيت هو في حدّ ذاته "دليل حب".

وبالعودة إلى جان - ميشال ماكرون، فقد كانت رغبته على

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٢٨ شباط/ فبراير ٢٠١٧.

الدوام أن يرى أولاده يتابعون دراستهم في باريس. إيمانويل هو الذي أراد أن ينهي سنته الأخيرة من المرحلة الثانوية في العاصمة؛ "هو الذي تمنى ذلك"، قال، بتشجيع من بريجيت. ويتابع الأب: "تحدثنا في الموضوع منذ وقت طويل... كان مشروعاً طويل الأمد. مستوى إيمانويل التعليمي كان جيداً، فارتأينا أن ينتسب إلى الصفوف التحضيرية[1]، إذ أردناه، أن يحظى بأفضل الفرص لإنجاز أقصى الممكن، تماماً كأخيه الذي تمّ قبوله في قسم الرياضيات في ثانوية هنري الرابع، وشقيقته". وأضافت والدته: "في معهد La Providence، لم يكن يواجه أيّ منافسة. لم يكن أمامه أيّ احتكاك. لقد كنا طبيبين، كلينا، وكالسائقين لا نثبت أنظارنا إلا على الطريق أمامنا، لكننا فكرنا بتسجيله في باريس منذ الصف الثانوي الأول. ذلك القرار لم تكن له علاقة ببريجيت". حديث كلاسيكي من أبوين قلقين على مستقبل أبنائهما.

في نهاية السنة الثانوية الأولى، جهّز معلمو إيمانويل ماكرون ملفّه للتقدّم به إلى ثانوية هنري الرابع، وكان له ما أراد، إذ تمكن من دخول ذلك المعهد العريق لكن في سنته الثانوية الأخيرة. وانتقل الأبوان إلى باريس ليتدبّرا لابنهما مسكناً، واهتديا إلى غرفة خادمة قريبة من المعهد، في شارع بيار وماري كوري، مالكوها مقيمون في المبنى نفسه. أقام هناك عاماً قبل أن يتدبر له والداه

[1] صفوف مخصصة لتحضير الطلاب لدخول بعض المعاهد الجامعية الكبرى. (المترجم)

شقة صغيرة في شارع la Santé قريباً من السجن، حيث يسكن أيضاً شقيقه وشقيقته.

لم يكن في ذلك المسكن الباريسي الأول أيٌّ من وسائل الرفاهية: الحمّامات تقع في الممرّ، والمغسلة فوق السخّان الذي يطهى عليه الطعام. في البداية، تسجل إيمانويل في القسم النصف الداخلي في هنري الرابع، قبل أن يتخذ قراره بالتوقف. لم يترك الفتى وحيداً بل كان يتلقى الدعم من والديه اللذين كانا يمدانه بالمال، كالعديد من الطلاب القادمين إلى العاصمة من الأقاليم. "لم نقطع صلاتنا به أبداً"، تؤكد والدته، التي كانت تحضّر له أطباقاً صغيرة من الطعام وتضعها في علب في الثلاجة، وتهتم بغسل أمتعته حين يعود إلى أميان في نهاية الأسبوع. "لم نلقِ به خارجاً"، يضيف والده مؤكداً.

الشهور الأولى لم تكن سهلة، فإضافة إلى شعوره بالغربة، وجد نفسه فجأةً، هو الذي كان الأول دائماً في صفه، أمام زملاء له أفضل منه مستوى. لقد فقد "الفتى الخارق" شيئاً من سحره، ووجد نفسه للمرة الأولى في محنة، لم يعد هو الأفضل، ولا ذاك المدلّل الذي يثير الحسد والرغبة في التمثل به.

"كان الوضع قاسياً، فمعدل علاماته تراوح بين ١١ و١٢، لكنه استطاع، في عيد الميلاد، أن يعوّض ما فاته"، تؤكد والدته. لقاء بريجيت، سرّاً على الأرجح من وقتٍ إلى آخر (كانت لا

تزال تزاول التدريس في أميان ومتزوجة)، لم يستطع أن يلطّف صعوبة المرحلة، فالفتى، رغم كونه شخصاً اجتماعياً، أضاع نقاط استدلاله، ووجد نفسه بعيداً عن منزله، وعن جدته الحبيبة، في مدينة لا يعرف منها سوى القليل، وفي وسط بيئة باريسية تنافسية وبالغة التميّز.

حتى لو ذكر في كتابه أن هذا التنقل الموسميّ "كان من أجمل المغامرات"، وحتى لو زيّنه بأبهى صور الرومانسية لجميع الأبطال الطموحين الذين سبقوه ("جئت أسكن في أمكنة لا وجود لها إلا في الروايات، وأسلك دروباً سلكتها شخصيات فلوبير وهوغو، ويحدوني طموح جموح لذئاب بلزاك الفتية")، فالمرجّح أن الأحلام الرومانسية لم تكن رفيقته الدائمة.

هنري الرابع ليس هو لوي - لو - غران، كما أشار أحد أصدقائه، بل معهد ثانوي في حيّ هادئ لا يضمّ سوى عدد قليل من الطلاب القادمين من الأقاليم. أما معظم طلابه، فمن سكان منطقة "الضفة اليسرى"[1]، الممثلين المثاليين لإنتاج النخبة الأثيرة على قلب بورديو. مملكة المتشابهين التي لا تتقبل بسهولة دخيلاً

[1] يقصد بها الضفة الجنوبية لنهر السين التي توصف بأنها عقل باريس لأنها تضم الأماكن التي يرتادها المثقفون (حي سان جرمان دي بري، كافيه دو فلور، كافيه دي دو ماغو) والفنانون (مونبارناس بصورة أساسية)، والموسيقيون (كافو دي لا هوشيت، تابو، كلوب سان جرمان...)، والأساتذة والطلاب (الحي اللاتيني، السوربون وعدد من مؤسسات التعليم التي أقيمت حولها...). (المترجم)

عليها. بالطبع، لم يكن إيمانويل ابن عامل، لكن كان عليه الذوبان في محيط لا يعرفه، ويجهل مفاتيحه وعاداته التي تكاد لا تظهر. من البديهي أن هذه الشهور القليلة، كما تلك التي سبقت رحيله إلى باريس، كانت له اختباراً، وما جعله يتجاوزه بنجاح حبه لبريجيت، وذلك الهوس، والفكرة الثابتة التي كوّنها عن "عيش حياة اختارها مع من يحب".

في الثامنة عشرة، تسجل في الصف التحضيريّ، فيما كانت علاقته ببريجيت تتعزز باستمرار، إذ لا يمرّ يومٌ من دون أن يتحادثا، ولم يطرأ أيّ تعديل على موقفه، إلى درجة أنه صارح والدته بقوله لها: "أمي لا أزال أحب بريجيت. إن تفهمتِ، فحسناً تفعلين، وإلا فسأستمرّ في نضالي حتى أجعلك تتفهمين".

اقتناعاً منها بأنه "ماضٍ حتى النهاية"، لم تحاول فرنسواز نوغيس - ماكرون دفعه إلى تبديل رأيه، كما أكدت: "ما إن أفكّر في إقناعه، حتى أتراجع، لأنّ إقناع إيمانويل ضربٌ من المستحيل. إنه فتى راسخ التصميم، وسرعان ما أدركتُ أنّ هذه العلاقة ستكون جديّة. قلنا له فقط: فكّر في الأمر، إنّ لها ثلاثة أولاد".

متى بدأت بالتحديد قصة الحب تلك، وتحوّل التناغم الفكريّ الحميم إلى تناغم من نوع آخر؟ من الصعب معرفة ذلك، لأن أيّاً منهما لم يشأ الإشارة إلى أيّ تاريخ. "لا أحد سيعرف أبداً متى تحولت علاقتنا إلى علاقة حبّ. هذا أمر

يعنينا، إنه سرّنا"، كما تؤكد بريجيت[1] التي ذكرت أنها أهدته حين كان في "المعهد الوطني للإدارة"، ويستعدّ للسفر إلى نيجيريا في مهمة تدريبية خاتماً في ثلاث حلقات لا يزال يضعه في إصبع يده اليمنى (كما تضعه بدورها)، وقد أثار عاصفة من الثرثرات والتأويلات. إنه خاتم خطبتهما. "أهديته إيّاه حين سافر إلى نيجيريا، كانت المرة الأولى التي نفترق فيها كلّ هذه المدة الطويلة: ستة أشهر".

شكّل الوقت عاملاً مساعداً، وبدأت العلاقات العائلية تشهد المزيد من التحسن، ففي ٢٠٠٠، سافرت فرنسواز نوغيس – ماكرون في إجازة مع إيمانويل وبريجيت وابنتها، التي كانت في سن إيستيل، شقيقة إيمانويل.

بعد ذلك بسبع سنوات، حضرت مع زوجها ومانيت زواج إيمانويل وبريجيت في توكيه، معقل عائلة ترونيو، في فندق وستمنستر، تماماً قبالة منزلهم، وبمشاركة ميشال روكار وزوجته، وزملاء من "المعهد الوطني للإدارة" أمثال غاسبار غانتزر وماتياس فيشيرا وسيباستيان فيل. وكان الشاهدان: مارك فيراتشي صديقه من أيام Sciences–Po، وهنري هرمان "المحسن الكريم" وعرّابه الباريسي.

"كنا في أتمّ سرور. هم تولوا تنظيم كل شيء، وأنا اخترت

[1] من مقابلة مع الكاتبة في ١٧ شباط/ فبراير ٢٠١٧.

الموسيقا ومعزوفة Marche de Radetzky[1] التي دخلنا على إيقاعها"، كما روت والدة إيمانويل.

ذلك اليوم، شكر إيمانويل ماكرون، كما ظهر في الفيديو الذي عثر عليه بيار هوريل في وثائقي عن وزير الاقتصاد السابق، بعنوان La Stratégie du météore[2]، أولئك الذين أتاحوا لهذا الثنائي أن يبصر النور. "كل واحد منكم وكل واحدة كان الشاهد، خلال هذه السنوات الثلاث عشرة الأخيرة، على كل ما عشناه. تقبلتموه وجعلتم منا ما نحن عليه اليوم، أي شيئاً غير عادي، وزوجين خارج المألوف تماماً، ولو كنت لا أحب هذه الصفة، لكن زوجين وجدا وذلك بفضلكم".

زوجان "خارج المألوف تماماً"، وفريدان، ليس بفارق العمر بينهما فحسب، بل لأنّ كلّ شيء يدعو إلى التفكير في أن بريجيت هي المرأة الوحيدة التي أحبها إيمانويل حقّاً. الوحيدة والفريدة. وهي أيضاً التي جعلته يتخلى، حتى ذلك الوقت، عن فكرة أن يكون له أطفال.

ومرّ الوقت، وكان مروره كفيلاً ببلسمة الجروح وتسوية النتوءات. حتى والدة إيمانويل، التي عانت ما عانته من اختيار ابنها تربية أبناء وأحفاد ليسوا من صلبه، هدأ عذابها. لقد ألقت السلاح أمام حتمية

---

١ معزوفة عسكرية مشهورة للمؤلف الموسيقي النمسوي يوهان شتراوس الأب. (المترجم)

٢ "إستراتيجية النيزك". (المترجم)

هذا الحب. "لقد أحبّ بريجيت حتى العبادة، تقول. أتذكّر حين كان إيمانويل في المعهد الوطني للإدارة، كنت أشاهد رسائل من فتيات هنا وهناك لم تفضّ. يمكنك أن تعرّي أمامه لاتيسيا كاستا[1] فلا تثير فيه أيّ رغبة، لأنّ ما بين إيمانويل وبريجيت هو حب مكتفٍ كليّاً بذاته". وأضافت ضاحكة: "بريجيت صديقة لي لا كنّة".

[1] ممثلة ومخرجة وعارضة الأزياء فرنسية حسناء. (المترجم)

٤

بريجيت، الفريدة

بدأت تظهر شيئاً فشيئاً على صفحات المجلات. بطريقة مواربة في البداية، إذ "سُرقت" صور لهما نشرتها مجلة *VSD* أثناء عطلة نهاية الأسبوع في توكيه، اليد في اليد، هو في بنطلون الجينز، مرتدياً بطريقة غريبة قميصين واحداً فوق الآخر، وهي في تنورة قصيرة وحذاء رياضي، ثم، رسمياً، على الصفحة الأولى لمجلة *Paris Match* أثناء عشاء رسمي في الإيليزيه حيث وصلت بريجيت ماكرون متأبطة ذراع زوجها على أدراج القصر الرئاسي في ثوب من الدانتيل الأبيض يصل إلى ما فوق الركبتين ومعطف باللون الأبيض العاجيّ، وكلاهما من توقيع لوي فيتون. هو وهي، يداً بيد، وبابتسامة مشعة، جلسا بهدوء في صورة زوجين حديثين، مهيّأَين إن لم يكن بعد للرئاسة، فأقله لوسائل الإعلام. وقد اعتمد في مفارقةٍ غريبة لعاشق يقدّم نفسه على أنه حديث طريقة تواصل

تقليدية كي لا نقول مستهلكة، هي طريقة من سبقوه في السياسة، تلك التي فضّلها نيكولا ساركوزي واختارها أيضاً فرنسوا فيون في عزّ محنته مع ما عرف بـ"بينيلوب غايت"[١]، والتي تعمّدوا التوجّه بها إلى فرنسا المحافظة التي لا تزال متعلقة بالعائلة، وبصورة الزوجين المجتمعين وبالقيم التقليدية.

على أيّ حال، انقضّت وسائل الإعلام سريعاً على هذه الشخصية الجديدة التي جاءت تُغْني المشهد السياسي للزوجات أو المرافقات بعدما أجدب منذ رحيل فاليري تريورفيلار، والموقع غير المعلن لجولي غاييه[٢]. وباندفاع، تهافتت المجلات التي تعنى بأخبار المجتمع على هذا الثنائي الفريد الذي بدأ يشغل حديث الولائم الباريسية حين لا يكون مشاركاً فيها، ويكون الافتتاح بالتساؤل الدائم عن فارق العمر المستغرب بينهما. تساؤلات بالجملة عن هذه المرأة الحديثة جدّاً والتقليدية معاً، الانتهاكية والكلاسيكية. شخصية روائية حقيقية، ما في ذلك شك.

امرأة كاملة الصفات، أقلّ ليونة وتقليدية مما يبدو عليه مظهرها البرجوازي الرصين بصفتها معلمة لغة فرنسية في فرانكلن (ثانوية سان – لوي – دو – غونزاك). ابتسامتها الدائمة ومزاجها الهادئ

---

١ القضية التي أثيرت في وجه المرشح الرئاسي فرنسوا فيون واتهم فيها باستغلال منصبه وتعيين زوجته بينيلوب مساعدة له مقابل مبالغ مالية كبيرة، ما أدى إلى تراجع حظوظه في الانتخابات الرئاسية. (المترجم)

٢ فاليري تريورفيلار وجولي غاييه صديقتا الرئيس الفرنسي السابق فرنسوا هولاند السابقة واللاحقة. (المترجم)

والمتماسك ظاهرياً، يخفيان وراءهما امرأة محطمة ومثقلة بالثلوم. هي إلى جانب إيمانويل مذ كان في السادسة عشرة، ورفيقة ترقّيه ومشقاته، وهي التي خاضت مواجهاتٍ عائلية لإقناع أولادها بحقيقة حبّها، وتجاوز الأقاويل، والنظرات المستهجنة، والآراء المستنكرة لمدينةٍ من الأقاليم، قبل أن تغادر وتتخلى عن كل شيء: الزوج المصرفي والأولاد الثلاثة، تلبية لنداء الحب... ما من شكٍّ في أن الحتمية والشجاعة لا ينسبان إلى إيمانويل ماكرون الذي اعترف بذلك طوعاً في كتابه *Révolution*:

> الشجاعة الحقيقية كانت شجاعتها، وكذلك التصميم السخي والصبر، فقد كان لها زوج وثلاثة أولاد. أما من ناحيتي، فكنت طالباً ولا شيء إضافياً. لم تحبني لما لديّ: لموقعي، للرخاء أو الطمأنينة اللذين أوفرهما لها. لقد تخلت عن كل ذلك من أجلي، لكن مع قلق مقيم على أولادها. لم تفرض شيئاً، لكنها قدمت بهدوء درساً في أنّ ما نعتقده عصيّاً على التصوّر يمكنه أن يفرض نفسه.

من المدهش أنّ ما اعتادته فرنسا، عبر الصحف النسائية والشبكات الاجتماعية، عن نماذج النساء النّمرات[1] بالنسخة

[1] المرأة التي تقدمت بها السن وتهوى رجلاً في مطلع شبابه. (المترجم)

الهوليوودية، هو العصيّ على التصوّر: هذا الفارق في السن الذي يثير التساؤلات. والدليل أن المجتمع الفرنسي، الذي لا يدهشه أن يرى شخصية ذكورية مشهورة في صورة تجمعه مع امرأة أصغر منه، لا يزال محافظاً في هذا المجال.

كان إيمانويل ماكرون أوّل من عبّر عن صدمته:

> هذه الغرابة ما كانت لتطرح لو كان الفارق في السن مقلوباً. إنها تعبير عن كرهٍ مستمرّ للمرأة، وتفسر في جانب منها سبب انتشار الشائعات. الناس لا يستطيعون تقبّل ما كان صادقاً وفريداً. هذه هي المسألة ولا شك. كنت أعرف ذلك منذ البداية. تتحدثين عن القدر... حين قررت كنت أعرف ذلك. كان لذلك قوة الحتمية[١].

كان يعرف إذن أنّ بريجيت، التي يذكرها بعد بول ريكور وميشال روكار حين يُسأل عن الأشخاص الذين تأثر بهم في الحياة، ("لقد أثّر فيّ تصميمها. إنها هي المنتهِكة الحقيقية للأعراف")، والتي من أجلها قرّر التخلي عن فكرة الأبوّة، ستكون هي التي سيختارها، وستكون الوحيدة. والفرادة هي هنا وليس في "ذلك العمر الذي يفعل فعله في القضية"، كما كتب لوك لو فايان في

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٢٨ شباط/ فبراير ٢٠١٧.

صحيفة *Libération*[1]: "حين يبلغون (الرجال) مرحلة الشيخوخة، يقايضون شهرتهم المؤكدة وموهبتهم الوطيدة وقوتهم المترجرجة بجراحة تجميلية منشّطة وخصوبة عارمة. فما من سبب يمنع النساء اللواتي في عمرهم أن يستمتعن بالحياة بدورهنّ".

ليس "الاستمتاع بالحياة"، والحق يقال، هدف بريجيت ماكرون، ومع ذلك، تجد نفسها كأنها تحمل راية الانتقام لكل النساء في فرنسا ونافار اللواتي تخلى عنهنّ رجالهنّ من أجل نساءٍ فتيّات. "بريجيت ماكرون ينظر إليها كما لو كانت المرأة الريادية التي وضعت حدًّا للنقاش"، كما كتب أيضاً لو فايان.

لكن هذه السيدة، التي تسير على خطى ديان دو بواتييه التي كانت مربية هنري الثاني وحبّه الكبير، والتي هزئت من السنوات العشرين التي تفصل بين عمريهما، أو على خطى جوزفين التي جاهدت لستر فارق السنوات الثماني التي تكبر بها نابليون بونابارت، انضوت في دور اجتماعي تقليدي، إلى حدّ ما، غايته إبراز رَجلها، والانبهار أمام صفاته الخارقة. امرأة مستعدة للتضحية بمهنةٍ تعشقها هي التعليم من أجل أن تكون إلى جانبه. امرأة موجودة من أجل نصحه، وشدّ أزره ومرافقته. كما كتب مرة أخرى لو فايان: "عرفت تماماً كيف تمتدح مآثره وتدعمه فكريّاً، إنه هو الرجل المشهور، وهي المرأة المرافقة. لم يحن

1 12 Septembre 2016, "Brigitte Macron : l'âge fait beaucoup à l'affaire".

بعد وقت بريجيت م. لتكون مرشحة الرئاسة وإلى جانبها شاب مغمور كسكريتير لاجتماعاتها".

جميع هذه الاعتبارات حول الفارق في العمر تثير حفيظة بريجيت ماكرون. توجه عليها الصحافة منظارها تتفحّصها لتخرج بصورة مكبّرة ومشوّهة، فتتعجب من تعجب الناس. لا تتستّر على القول: "أولئك الذين يتوقفون عند فارق العمر لا يعرفون ما كنا عليه"[١].

بصوتها الدافئ، تدخل بريجيت ماكرون مباشرةً في الحديث الحميم. في انفتاح لا تعترضه مصفاة ظاهرة، ومن دون أيّ تحفظ. قد يعدّ ذلك سذاجةً ربما، لكن ليس إلى الحدّ الذي نتوهمه... حين تتحدث عن رَجلها، نلمح النجوم في عينيها، والتوهّج في صوتها. هو، وفق قولها، رجل فريد، مختلف، مخلوق فضائي من كوكب آخر. لم يبلغ بعد الأربعين وهي في الثالثة والستين؟ ما همّ! ففي الواقع هي دوماً في العشرين، وهو كذلك. بصبرٍ تجيب عن الأسئلة وهي تحاول الاحتفاظ ببعض الخصوصية، وأن تصون ما يمكن أن يفوتَ الفضولُ المتفحّص للصحافيين، لمولوخ الإعلام[٢] الذي لا تتردّد في تقديم القرابين له حين يقتضي الأمر. باتت تضطلع بمهمتها: جندي صغير طيّب، زوجة وزير ثم زوجة مرشح، ثم، من يدري...

١ من مقابلة مع المؤلفة في ١٠ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.
٢ إله أسطوري ذو نزعة شريرة لا يرضى إلا بالأطفال قرابين له. (المترجم)

لقاؤهما، كما ذكرنا، كان بديهيّاً. فريضةٌ واجبة، أو قدَرٌ جميل كما في الأساطير. نتخيّل أنفسنا أمام فيلم. فلوبير في القرن العشرين. حكاية مؤثرة في مجتمع أميان البرجوازي الخانق والخامد. نتخيّل التأوّهات والدموع، وعذابات التمزقات وخيارات الحياة، والنميمة الحاضرة، بالطبع، لكنها تأبى الاعتراف بها، أو هي تسترها، لأنها تريد السعادة بأيّ ثمن، والتفاؤل بلهفة، والمرح أيضاً، وهي سمة نادرة لدى الباريسيات لكي يشار إليها.

هي لم تسمع، وفق قولها، الأصوات الهامسة تنقضّ عليها من وراء ظهرها، أصوات الاستنكار بالتأكيد، المتهِمة ربما، والساخرة أيضاً. كانت لديها اهتمامات أخرى غير الأقاويل. والداها المريضان، أولادها الذين هم محور اهتمامها الأساسيّ. "لا أريد التسبّب في أضرار جانبية. المهمّ، هم الأولاد، وألا أتسبّب في الألم لوالديّ ولا لأولادي. كانت هناك أمور أساسية أهتمّ بها بدلاً من الاستماع إلى الثرثرات الريفية. على أيّ حال، أنا منفتحة على الآراء، لكنّ الناس لا يجرؤون على المصارحة".

الناس، لا، بل أشقاؤها وشقيقاتها، وبالتحديد شقيقها البكر (الذي يكبرها بعشرين عاماً؟) نعم. ذاك أنّ لعائلة ترونيو شأناً في أميان. عائلة بيكاردية[1]، كاثوليكية، وذات توجّه يمينيّ. اشتهرت بصناعة الشوكولا أباً عن جد، "منذ خمسة أجيال"، كما هو

[1] نسبة إلى بيكاردي، وهي مقاطعة شمالي فرنسا. (المترجم)

مدوّن على واجهات المحلات في أميان وآراس، وليل، وسان – كنتان. عائلة متحفظة ولها تأثيرها، فقد كانت في تسعينيات القرن الماضي من الداعمين الأساسيين للعمدة جيل دو روبيان كما كتب مارك اندولد في *Macron L'Ambigu Monsieur*[1].

إذن، قصة الحب أحرجت عائلة ترونيو، بالطبع، وأحدثت اضطراباً في حياتها المستقرة الهادئة. "هذا صحيح، فقد ذهب أشقائي وشقيقاتي مذهب المعترضين! مثيرين المسألة الأخلاقية تحديداً، ومؤكدين أنّه أمر غير أخلاقيّ!". اليوم أيضاً بريجيت ماكرون تؤكد أنها لا ترى أين هو الانتهاك، وتدّعي الدهشة: "أنا انتهاكية؟ كان انتهاكاً لأنه إيمانويل، ولكن ليس بسبب فارق العمر بيننا!". وتضيف:

> نظرت دوماً إلى إيمانويل كمجايلٍ لي. أبداً ما كنت لأذهب مع رجل يصغرني في السن! على أيّ حال – قالت من دون أن تضحك – حين أرى اليوم رجالاً آخرين من عمره، في الرابعة والثلاثين، أقول لنفسي، لا، لن أستطيع أبداً! حكايتنا تفسَّر بما هو في ذاته لا بما هو في عمره. إيمانويل شكلٌ نادر من الذكاء، متميّز بإنسانية استثنائية. إنه قوة منطلقة.

---

١ **السيد ماكرون الملتبس**، فلاماريون ٢٠١٥.

حديث بريجيت ماكرون، التي لا تزال مفتونة بزوجها بعد انقضاء عشرين عاماً على علاقتهما، يدلّ على أنّ فارق العمر بينهما تفصيلٌ بسيط، ومسألة ثانوية تقريباً، وليست الأساس. فرادة رُكّز عليها بقسوة مذ خرج هذان الزوجان إلى الضوء، لكنها لم تكن جليّة في عينيها. المرأة النمرة؟ لا، هي لم ترَ نفسها في هذه الصورة قطّ؛ "بالنسبة إليّ، نحن زوجان طبيعيّان. لا أرى أين الاستثناء. نحن في حاجة واحدنا إلى الآخر. لقد مضى علينا زمنٌ طويل ونحن معاً".

لم تكن مخطئةً، فوسائل الإعلام، بتسليط أضوائها الباهرة على فارق العمر بينهما من دون التطرّق إلى خيار إيمانويل ماكرون في ألا يكون لديه أولاد من زوجته، حجبت مسألة أساسية: فرادة هذين الزوجين لا تستند على السنوات الأربع والعشرين الفاصلة بينهما، بل على واقع أن بريجيت هي امرأة حياته! الأولى والوحيدة والفريدة... هي في الوقت نفسه امرأةٌ وأمٌّ وجدّةٌ تتنقل بمهارة في محادثاتها الهاتفية بين الحكايات التي يطلبها منها حفيدها – "انتظر لحظة، دع تيتا تنهي كلامها"، "نعم، سأروي لك حكاية الكركند والجراد البحري" – والأسئلة التي يطرحها عليها الصحافي.

زوجان طبيعيّان؟ نعم ولا، إذن.

صحيح أنه بزواجه من بريجيت عام ٢٠٠٧، تزوج إيمانويل ماكرون في الوقت نفسه أسلوب حياة برجوازيّاً منظّماً، يركّز على تصريف الوقت بوضوح وانتظام، وعلى ساعات العمل، وإيقاع

نهايات الأسبوع مع العائلة في توكيه، تحديداً في منزل ترونيو العائلي الذي أصبح بيتهما، وسط مدينة صغيرة تقصدها عائلات الشمال الميسورة للترويح عن نفسها على شاطئ البحر، من دون تباهٍ وبهدوء.

بالمناسبة، تبنّى إيمانويل ماكرون عائلة جاهزة، كانت حَروناً في البداية، لكنه استطاع أن يروّضها شيئاً فشيئاً. أحفاد بريجيت (سبعة أحفاد) في هذه العائلة هم في عمر أولاد إيمانويل لو كان له أولاد، وينادونه: "جدّو"...

يروي أحد كبار أرباب العمل كم كان مغفّلاً حين أعلن لإيمانويل بكلّ اعتزاز أنه أصبح جَدًّا: "فيما أخبره بذلك، اكتشفت أنه جدٌّ بدوره، بالوكالة، مذ كان في الخامسة والثلاثين من عمره!". ميزة تبيّن علاقته الفريدة بالوقت، و"قدرته على الامتداد في الزمن الخطيّ، إذ يضع كلّ ما يعمله في خدمة المستقبل"[١]، يقول تييري بروتون، رئيس Atos[٢] ومديرها العام.

يتفق جميع الذين رافقوا الزوجين ماكرون منذ زمن طويل على أنّ هذين الشخصين زوجان متفاهمان إلى أقصى حدّ، ويتبادلان باستمرار الإشارات الحنونة والنظرات المتواطئة. ما من شكٍّ في أنهما متفاهمان، وفي حاجة، واحدهما إلى الآخر، ويجمعهما شيءٌ ما خاص هو نظرتهما المتعالية إلى الحياة.

١ من مقابلة مع المؤلفة في ١ شباط/ فبراير ٢٠١٧.
٢ إحدى أكبر الشركات العالمية في المجال الرقمي. (المترجم)

هو بحاجة إليها لأنها "نقطة استدلاله الثابتة"، كما قالت برناديت شيراك عن دورها إلى جانب جاك شيراك. لكنها النقطة الثابتة التي تمنحه الانطلاق والفرح، وتسلحه بالفعالية المهيبة من أجل الانخراط في غابة المجتمع، وتساعده على تمييز هذا من ذاك ممن يجدر به التعرف إليهم، وتتبادل معه التعليقات والانطباعات بعد كل اجتماع.

"هي تساهم في تدعيم ثقته بنفسه، يقول سيرج وينبرغ، وهي شديدة المرح، فرحة ومتفائلة"[١]. "هي ذات أهمية بالغة في حياته، ونوع من المرجعية النفسية التحليلية"[٢]، يضيف دافيد دو روتشيلد الذي تسنى له تناول العشاء مع الزوجين. بريجيت ثقة إضافية دائمة في المنزل بالنسبة إلى إيمانويل ماكرون. هو يعرف أنه سيجد لديها، كما كانت حاله مع جدته، التشجيع ولمحة الإعجاب ودرجةً من التطلب. إنها محاورته الرئيسية، وغارسة الأفكار التحرّرية فيه ورفيقته مذ كان في السادسة عشرة. كانت إلى جانبه في ارتقائه المدرسي أو المهني أو العاطفي. وحتى أنها ستكون، وفق بعضهم، تلك التي من أجلها اختار بعد Sciences-Po دخول "المعهد الوطني للإدارة". فردّاً على سؤال طرحه عليه صديق تعجب من اختياره هذا الاختصاص المستغرب بالنسبة إلى طالبٍ مغرم بالأدب، فكان جواب إيمانويل ماكرون: "لكنها قصة حب!

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٩ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.
٢ من مقابلة مع المؤلفة في ٢٤ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

كنت في الثامنة عشرة حين وقعت في غرام امرأة هي معلمة في مدرستي. كنت مغرماً بها حدّ الجنون. أردتها وحصلت عليها. إنها زوجتي وأنا أحبّها".

ربما لأنه يرى أيضاً أنهما زوجان ككلّ الأزواج، لم يجد إيمانويل ماكرون حاجةً يوماً إلى تقديم التبريرات لأصدقائه. حين كان في "المعهد الوطني للإدارة" في نهارات ستراسبورغ الطويلة، "لم يكن يسعى وراء النساء قطّ. كانت له زوجة لديها أولاد، وهو أمر كان يثير استغرابنا، لكنه نجح في التصرف بطريقة جعلتنا نرى دوماً أنّ هذا الزواج طبيعيٌّ. لم نشعر مرةً بالانزعاج ولا بغياب اللياقة. كان أمراً بديهيًّا، وفيه شيءٌ ما من الحقيقة"[1]، يؤكد ماتياس فيشرا، صديقه منذ أيام "المعهد الوطني للإدارة"، وأحد أفراد دفعة ليوبولد سيدار سينغور الشهيرة، الذي حضر حفل زفافهما. وكذلك يتذكر جان - بيار جوييه أنّ إيمانويل ماكرون حين أعلن له، وكان لا يزال في التفتيش المالي، أنه سيتزوج "امرأةً لديها أطفال وأحفاد"، قالها "بطريقة طبيعيّة جدًّا"، كأنه أمرٌ مسلّم به[2].

على أيّ حال، قليلون هم الذين يغامرون بسؤال إيمانويل ماكرون عن حياته الخاصة، لأنه رغم مظهره الودود والمنفتح، يعرف جيداً كيف يحمي نفسه.

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٣٠ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٦.
٢ من مقابلة مع المؤلفة في ٢٦ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

مدهشةٌ بريجيت ماكرون، لأنّ لديها مظهراً كلاسيكياً، ولأنها درّست في مدرسة كاثوليكية، وتبدو منتشية قليلاً بالحياة التي تحياها وسط هذه الكوكبة من النجوم والوجوه الاجتماعية التي يبدو أنها تستمتع بها بحيويّة، وحتى ببراءة، وبفرحة فتيّة. البعض يصنفها سريعاً كمساعدة ممتازة، أو كـ"زوجة طبيب من الأقاليم" أعيد تأهيلها، كما يشير ربّ عمل يعرفهما.

لكنها تساوي أكثر من ذلك. فوجودها لم يبدأ مع زوجها، رغم التصريحات العاشقة التي لا تنفكّ تعلنها له. لقد كانت لها حياة قبله، لا تحبّ كثيراً الحديث عنها، "لأنّ تلك المرحلة انتهت، إنها حياة أخرى"[١]، وأيضاً احتراماً لزوجها السابق لما يسببه هذا الحديث من أذى جانبيّ لبعضهم، وهي طريقة محتشمة لتجنب إثارة الألم واللوعة اللذين لا مفرّ منهما في حالات الانفصال، وخصوصاً إذا بدا هذا الانفصال فضائحيّاً في نظر أصحاب الأفكار التقليديّة.

لقد تزوجت (في ١٩٧٤، وهو العام نفسه الذي تزوّج فيه والدا إيمانويل) أندريه – لويس أوزيير، مدير البنك الفرنسي للتجارة الخارجية (BFCE) في ستراسبورغ بين عامي ١٩٨٤ و١٩٩١، ثم في أميان. عاشت في باريس وستراسبورغ وأميان، وأنجبت ثلاثة أولاد، ونالت إجازة في الآداب، وكانت بين عامَي ١٩٨٢

١ من مقابلة مع المؤلفة في ١٧ شباط/ فبراير ٢٠١٧.

و١٩٨٤ ملحقة صحافية للغرفة الإقليمية، وغرفة التجارة في نور - با - دو - كاليه.

وظيفة راقية لكن لم تكن تناسبها. انتقلت مصادفةً إلى التعليم، إذ أخبرتها إحدى الأمهات التي كانت قد بلّغتها عن رغبتها في معاودة العمل بعد ولادة ابنتها تيفاني، لدى خروجها من المدرسة في ستراسبورغ، أنّ إدراة الرعية في حاجة إلى أساتذة، فتقدّمت بريجيت أوزيير بطلب للتعليم وحالفها الحظّ. ربما، لو لم تجرِ الأمور في ذلك اليوم كما يرام، لأسّست عملها الخاص، كما تقول، لأنها لا تحتمل تلقّي الأوامر: "لم أكن أرغب في رئيس".

وهكذا تخلت عن فكرة تأسيس عمل خاص، وبدأت بالتعليم في ستراسبورغ في ثانوية بروتستانتية تابعة للأبرشية. و"شحنتها" التجربة بالحماسة، فقرّرت التمسك بها، لأنها وجدتها شغفها الحقيقي، "حدّ الانبهار التامّ" كما صرّحت لمجلة *VSD*.

"أعتقد أنني ولدت لأكون معلمة. لا أكون في أفضل حال إلّا في غرفة التدريس. والتلاميذ يبادلونني بالمثل. لو كانت رواتب الأساتذة أفضل، لأمكن القول حقّاً إنها أفضل مهنة في العالم!"[١].

وصلت إلى أميان عام ١٩٩١، حيث تسلّم زوجها وظيفته، فوجدت نفسها على نحو طبيعيّ، مع الشهادة الجامعية التعليمية CAPES في الآداب التي تحملها، أستاذة الفرنسية واللاتينية في

١ من مقابلة مع المؤلفة في ١٧ شباط/ فبراير ٢٠١٧.

معهد La providence حيث ستلتقي إيمانويل، ثم في سان – لوي – دو – غونزاغ المبنى الأنيق والنخبوي لليسوعيين في الدائرة السادسة عشرة حيث مرّت أجيالٌ وأجيال من المدراء والسياسيين، والذي كانت والدة برونو لو مير مديرته لمدة طويلة، حيث أخذت فيه ب أ م (بريجيت أوزيير ماكرون)، كما كان يطلق عليها، على عاتقها أبناء الشخصيات الذين سيصبحون أصدقاءها، أمثال فرنسوا سورو أو جان – بيار جوبيه... واستقدمت إليه أيضاً إيريك أورسينا لإحياء ندوة مع زوجها، وأيضاً فابريس لوتشيني.

هل بريجيت ماكرون منجذبة إلى كلّ ما يلمع؟ من السهولة قول ذلك، لكن الأصحّ، ربما، أنها منجذبة إلى كلّ ما يحيا ويثير الاهتمام. التلاميذ الذين تدرّجوا على يديها يؤكدون جميعهم ذلك: ب أ م "سوبر معلمة" يمكنها أن تحقّق إنجازاً باستبقاء التلاميذ في الصف بعد قرع جرس الانصراف، كما توزّعهم في فِرق لمراجعة دروسهم، وتهتم بوضع هذا الطالب أو ذاك إن لمست لديه تراجعاً أو شعرت بأنه يمرّ في مرحلة عصيبة.

وراء الشعر الأشقر والمظهر الكلاسيكي لتلك البنت الصغرى في عائلة من ستة أولاد، شخصية أكثر تعقيداً مما يبدو. ابتسامتها المتعالية، وسعادتها بحضور عروض ديور في الصفوف الأمامية، وارتداؤها، من القدمين حتى غطاء الرأس، أزياء بتواقيع ظاهرة أحياناً، لعلامة فويتون، مذ تعرفت إلى دلفين أرنو وكزافييه نيال،

لا تنجح في حجب تشققات تلك الشخصية. امرأة، "وراء تصميمها على البهجة"، تخفي "عالماً حسّاساً، وحدهم المرهفون يمكنهم ولوجه ليجدوا في أرجائه أنفسهم"، كما كتب زوجها في *Révolution*. أحدهم ذكر موباسان من بين كتّابها المفضلين لأنه كما باحت للكاتب فيليب بيسون، "فقد الكثير من الأشخاص في شبابه (...) شاهد الموت في كلّ مكان، وكذلك أنا". كاملةٌ، بريجيت ماكرون، شغوفةٌ، متحمّسةٌ، مشبوبة العاطفة، ومن بين الشخصيات المفضلة لديها في الأدب، ذكرت أيضاً دون جوان... وحين تثار قضايا النساء والأطفال يتخذ صوتها نبرةً حماسية، كأن المآسي التي تتكتم عنها أثّرت فيها في العمق. وهكذا تؤكد أنها لا تتقبل، وحتى "ترتعب مما يمكن أن يرتكب بحق النساء والأطفال". "لا أستطيع تحمّله. يتملكني الانفعال والتأثر ما إن يساء إلى طفل، وغضبٌ شديد لا يمكنني احتواؤه". حين نراها هكذا نتصوّر ما كانت تعانيه هذه المعلمة لدى استماعها إلى بعض المراهقين يعرضون عليها مآسيهم خارج ساعات الدراسة. يتملكها التأثر كأنّ تلك الصور تعاودها. لهذا السبب تحديداً، وقفت، بخلاف زوجها، ضد ارتداء الحجاب في الجامعة الذي رأت فيه نوعاً من اضطهاد الرجل للمرأة. "إيمانويل هو رجل تسويات، أنا لا أحتمل إلحاق الأذى بالنساء والأطفال. لا أحتمل ذلك"[1].

١ من مقابلة مع المؤلفة في ١٠ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

شخصيةٌ طريفةٌ بالتأكيد. امرأةٌ منغمسة في مبادئها البرجوازية، وأعرافها الثقيلة، وعلى استعدادٍ، في الوقت نفسه، بأن تلقي بنفسها في الفراغ. أما مع إيمانويل، كما يشير أحد المقرّبين، فقد "ركبت الطائرة لتقفز بالمظلة، لكن من دون أحزمة. لقد تزوجت قدراً وحياة خارجةً عن المألوف". ولديها أيضاً، كما يشير ماتياس فيشيرا "جانبها البلزاكيّ. ترى في كل ذلك نوعاً من المسرحيات الهزلية، والكوميديا الضخمة"[1].

هي بارعةٌ في التوفيق، على نحوٍ مذهلٍ، بين نزعتها إلى التقيّد بالأعراف الاجتماعية وبين نوع من الوقاحة وحرية التفكير، وميلٍ إلى زعزعة الأوضاع ولعب المقالب، فيما تبدي اهتماماً بالآخرين، الذين تتعاطف معهم بدورها، شأنها في ذلك شأن زوجها.

ذكرياتها عن تنشئتها الدينية؟ بدايةً، أنكرت أن تكون قد تلقّت، حقّاً، تنشئة دينية. لكن، بما أنها متحدّرة من عائلة كاثوليكية متدينة، وأمضت خمس عشرة سنة تلميذةً في مدرسة القلب الأقدس، عادت واعترفت بأنها تلقت "تربية مدرسية ودينية صارمة" ضيّقت الخناق عليها قليلاً. "حين كنت طالبةً، كنت أتلقّى أسبوعيّاً بطاقتَي اعترافٍ بخطاياي، وكان نهاري يبدأ بحضور القداس"[2]. كانت متمرّدة ومتحررة، وتذكر أنها كانت تكاد لا تفارق عمّة المغني هوغ أوفراي، التي كانت تنتقدها بالقول: "بريجيت، أنت فتاةٌ

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٣٠ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٦.
٢ من مقابلة مع المؤلفة في ١٠ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

صغيرة وقحة". "لم أكن أنتظم إطلاقاً في الصف"، تقول وهي تتذكر أنّ جدتها لأمها، التي كانت تسكن معهم في المنزل، كانت تتغاضى عن كلّ تصرفاتها. ولأنها كانت شابةً حسناء ومثيرة، فقد كانت "تحب المشاركة في السهرات الراقصة مرتديةً التنورة القصيرة الملتصقة بجسدها، وبين كأسي ويسكي ورقصة روك مجنونة، كانت تتجرأ على الخروج في مداعبة غزلية وراء الستائر"، كما كتبت كارولين بيغوزي في *Paris Match*[١].

تزوجت باكراً، في العشرين من عمرها، عام ١٩٧٤، تحدوها، كما باحت لفيليب بيسون في مجلة *VSD* "رغبةٌ محمومةٌ في الأمومة" التي حققتها بإنجابها ثلاثة أولاد: سيباستيان، وهو اليوم مهندس، لورانس، وهي طبيبة قلب، وتيفاني، الفتاة الصغرى، وهي محامية ومنخرطة في حركة زوج أمها "إلى الأمام!".

ما هو، تحديداً، تأثيرها في إيمانويل ماكرون؟ وهل هي التي دفعته حقّاً إلى الانخراط في السياسة والترشح للانتخابات الرئاسية لكي تحقق عبره طموحاً عجزت عن تحقيقه في الواقع؟

في الحقيقة، يبدو الواقع معاكساً تماماً. فأكثر من مرّة أثناء لقاءاتنا، تطرّقت مرتعبةً إلى العنف في عالم السياسة، وغرائزه الوحشية المتفلتة، وعبّرت عن صدمتها من المصير الذي دبّر لبينيلوب فيون، وكأنه قرار إعدام من دون محاكمة اتخذته

١ ١٤ نيسان/ أبريل ٢٠١٦.

الصحافة بحق مرشح اليمين وزوجته. "ما حلّ بها أشبه بصيحة الصيادين[١]. أنا لا أعرفها، لكنني متعاطفة معها تعاطفاً كليّاً. كنت أصادفها في لقاءات الأحد... هذا مستحيل. كنت أتساءل في نفسي: ترى في أيّ حالٍ هي؟ سأعتزل الناس ككارهي البشر... هذا العقاب الشعبي، هذه الحدّة، إنه لأمرٌ مقيت"[٢].

يبدو أنّ بريجيت، والحق يقال، جارت إيمانويل ماكرون في طموحه السياسي، ثم قرّرت أن ترافقه بدلاً من أن تدفعه إليه. غريغوار شيرتوك، الشريك المفوّض لدى روتشيلد، الذي أصبح صديقاً للزوجين، يتذكر أنه في المرحلة التي طرحت فيها المسألة "لم تكن بريجيت تريده أن ينخرط في السياسة. ولا أزال أتذكر الأحاديث بيننا حين ترك المصرف"[٣]. ويؤكد إيمانويل ماكرون: "بريجيت لم تكن تحبّذ انخراطي في السياسة. دعمتني بدافع من الحب، لكنها لم تُرد ذلك مطلقاً. كانت تريدني أن أنصرف إلى الكتابة أو كما كانت تتمنى أن أبقى في مصرف الأعمال"[٤].

ربما لعلّها أدركت أن العمل السياسي قد يكون مهمّاً، رغم أنّ مردوده المالي أقلّ، لكنه يحمل الخطر في طيّاته. السلطة الصرف القاسية، التحفّز الدائم بجرعاته القوية، الحياة المكشوفة،

١ صيحة الهجوم التي يطلقها الصيادون حين يحاصرون الطريدة فلا يعود أمامها سبيل للإفلات. (المترجم)
٢ من مقابلة مع المؤلفة في ٣١ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.
٣ من مقابلة مع المؤلفة في ٤ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.
٤ من مقابلة مع المؤلفة في ٢٨ شباط/ فبراير ٢٠١٧.

الملحقات الصحافيات والصحافيات الحائمات... ربما كانت تخشى أن تفقد زوجها، فهي التي أسفت يوماً، كما يستدلّ من عبارة قالتها، ألا يكون في السياسة، كما في عالم المال، "رجالٌ لطفاء أمثال دافيد دو روتشيلد"، أو ترثي لحال النائب السابق "فيليب" (فيلبيه)، حين تطرقت إلى زيارتهما إيّاه في بوي - دو - فو. "لقد اغتالوا عائلته. جنون ما بعده جنون ما عاناه هو شخصيّاً". مرعب عنف هذا العالم.

إنّ التزامها الوقوف إلى جانب إيمانويل ماكرون في الحياة السياسية هو على حدّ قولها "خيارٌ حرٌّ"، إلى حدّ ما، كما كانت تردّد، بين الجدّ والهزل، برناديت شيراك التي اختارت، في الواقع، تلك الحياة ودعمتها. "حين أصبح وزيراً، قلت في نفسي: ها قد انطلق! وحين دافع عن قانونه، قلت في نفسي: ها قد انخرط وانتهى الأمر!"[1]، ختمت كلامها مسلّمة بالقضاء والقدر[2].

أدوار بريجيت ماكرون عدة من دون أن تختصّ بدور محدّد. فهي في الوقت نفسه ميسّرة الأمور، والمدرّبة، والمعلمة، وكتف الشكوى والنظرة المطمْئنة، وغالباً ما تكون ممرّ بعضهم لإيصال الرسائل أو الوصول إلى إيمانويل ماكرون، سواءٌ أكان هؤلاء من أفراد عائلته، كوالدته التي تتناول الغداء غالباً معها، أم شخصيات من أوساط مختلفة: عالم التمثيل والاستعراض تحديداً.

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٣١ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.
٢ من مقابلة مع المؤلفة في ٣١ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

لقد أدركت بريجيت سريعاً أنها إن لم تقف إلى جانبه، فإنها لن تراه مجدداً. لذا، بدأت تشارك في الاجتماعات الأسبوعية في بيرسي لكي تحظى ببعض الوقت الحرّ لهما. في البداية، استمرّت في التعليم في فرانكلن، ثم لم تلبث أن توقفت، ابتداء من حزيران/يونيو ٢٠١٥، عندما اكتشفت أنّ حياة الوزير إيمانويل ماكرون لن تتطابق مع حياتها إن استمرّت في مزاولة مهنتها. وكان لا بدّ لها من اتخاذ القرار الصعب حين قرّر زوجها تجربة حظه في الانتخابات الرئاسية. منذ ذلك التاريخ وهي هنا، إلى جانبه معظم الأحيان، تسهر عليه، وتنصحه قبيل انعقاد الاجتماعات، أو توجّه إليه الإشارات أثناءها، مثل ما حدث لهما في الاجتماع الأول الموسّع الذي عقده في باريس، عند بوابة فرساي، إذ أشارت إليه أنّ "الاجتماع طال كثيراً"، ولكن عبثاً، أو تنصحه بتصحيح بعض المقاطع في خطابه تحت عدسة كاميرا بيار هوريل، مثل ما فعلت في لقائهما الأول حين كانا يعملان معاً على إعادة كتابة *L'Art de la comédie*[1] لإدواردو دو فيليبو وجمَعهما الأدب، هو على المسرح وهي في الكواليس، تسانده وتقود خطاه. عاشقة دوماً، وتكتب كوميديا أخرى هي كوميديا السلطة بإغراءاتها ومساوئها العنيفة، مثل تلك الشائعات الراسخة عن المثلية الجنسية المزعومة لزوجها. شائعات تثيرها بنفسها في العشاءات الباريسية أو حين تروي جذلةً: "التقيت ذات

١ فن الكوميديا. (المترجم)

يوم في الشارع رجلاً مسنًّا، فبادرني: نحن نعلم أن ماكرون ليس لوطيًّا!، قصدك القول إنه ليس مثليّاً، أجابته. لكن الرجل تابع وفق قولها: أنا أستشعر وجودهم (اللوطيون)!".

بريجيت حاضرة دوماً ومذهلة! لكن إلى حدٍّ مبالغٍ فيه، بزعم بعضهم ممن استندوا إلى مقالة نشرتها مجلة *Le Canard enchaîné* في عددها الصادر بتاريخ ٢٥ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٦، ويذكر فيها كاتبها أنّ بريجيت "أعيد ضبطها" وطُلب منها أن تكون أكثر تكتّماً. "إنهم لا يضعونني أبداً في الموقع المناسب، إما يقولون إنني حاضرة دوماً وأشارك في اتخاذ القرارات المهمة، وإما يؤكدون أنّ لا حضور لي. باختصار، أكون إما دخيلة متطفّلة وإما مستبعدة"[١]. في نهاية كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧، اختصرت دورها بهذه العبارات: "أهتمّ بجدول مواعيده الشخصية، أقابل بعض الناس أحياناً، يحضّر لي لائحة تبضّع بالأشخاص الذين عليّ مقابلتهم، لكنني لا أشارك أبداً في سفراته الخارجية ولا زياراته الاقتصادية، لأنني أرافقه حيث يكون لي إلمامٌ بالأمور المطروحة، أو حين يكون لي برنامجي الخاص في شؤون التربية مثلاً، أو الثقافة أو المرأة، أو الصحة... (الموضوعات التي أكون كفوءة فيها إلى حدٍّ ما)". وتتابع: "أشارك في جميع اللقاءات. حين تكون هناك اجتماعات، أصغي ولا أشارك، محتفظة بآرائي وتعليقاتي إلى ما بعد انتهاء الاجتماع لنتشارك فيها

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٣١ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

معاً، وأنا بارعة في هذا المجال. هذا ما نفعله معاً، وهو ليس بالأمر التافه ولا هو كلّ المطلوب. هكذا عملنا باستمرار".

هي حاضرةٌ أيضاً، وفق ستيفان بيرن، "لكي تلطّف الأجواء منعاً لخروج الوضع عن السيطرة، ولتعيد إيمانويل ماكرون إلى أرض الواقع (down to earth)، وحين يقتضي الأمر تتصرّف بصفاقةٍ وحزم. إنها تخلب لبّه، ما دفعها إلى القول يوماً بمرح: الآن فرصته. تصوّر أيّ هيئةٍ ستكون لي بعد خمسة عشر عاماً!"[1]. مقرّب آخر منها يرى فيها "مزيجاً من السذاجة والمكر"، ويؤكّد أنها استدعته منذ بضعة أشهر لتقول له: "عليك أن تساعدني لتهدئته، العيش مع جاندارك ليس بالأمر البسيط، كما تعلم!"، فيما أسرّت إلى آخر، بين الجدّ والهزل: "هو يحسب نفسه المسيح!".

وهل تؤثر فيه؟ هو يصغي إليها، بالطبع، يقول جميع المقربين منهما، لكن من دون أن يتبع تلقائياً نصائحها أو يأخذ بآرائها. "أقول له إنّ لديّ أفكاراً، لكنه لا يصغي دوماً"، كما تؤكد بدورها. في بعض الموضوعات الاجتماعية هي على يمينه، وتعلن تمايزها عنه. "حول موضوع المرأة تحديداً، أنا أكثر جذريةً منه، ولست متسامحةً إطلاقاً. هو يحاول التفهّم، وأنا أدخل في العمق، ولا أخفي ذلك. يرعبني ما يجري في بعض الضواحي لأولئك الفتيات اللواتي يخضعن لكل صور المعاكسات الكلامية وقمع الحريات.

[1] من مقابلة مع المؤلفة في ٣ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

ما حدث في حانات سيفران[1] من تمييز ضدّ النساء وإعلانهنّ غير مرغوب فيهنّ، لهو فضيحةٌ موصوفة"، تقول، فيما يرى زوجها أنه من غير المستحب منع الحجاب في الجامعة، وأنّ الفتاة يمكنها أن تقرّر خيارها بحريّة مذ تبلغ سن الرشد.

يبدو أنّ بريجيت ماكرون، منذ انخراطها في الحملة الرئاسية لزوجها، وحديثها عن نشاطاتها المتعددة إلى جانبه، قرّرت بوضوح أن تبذل كلّ جهدها لمساعدته في هذا السباق نحو الإيليزيه. برنامج حقيقي لسيدة أولى صاعدة.

ونسألها هل ترى نفسها سيدة أولى، وفي أيّ دور؟ فتؤكد أنها "لن تستبق الأمور"، "ولن تعيش في الأوهام". "فضلتُ لو كانت لنا حياةٌ مختلفة"، لكنها استبقت الأمر، مؤكدة أنّ الأوضاع إن تطوّرت في هذا الاتجاه، فستتابع "نشاطاتها الجانبية"، وستكون لها "حياةٌ طبيعية" وستؤدي "واجباتها بكل طيبة خاطر، وهذا أمرٌ طبيعيّ. يمكننا أن نساعد وهذا ما علينا فعله"[2].

على أيّ حال، "ومن دون أيّ استباقٍ للأمر"، تؤكد أنها "تجمع المعلومات حول الموضوع، وتتعرف إلى ما فعلته زوجات الرؤساء السابقين". وقد أتيحت لها فرصة التقاء اثنتين منهنّ على الأقل:

١ في بعض الضواحي الباريسية، ومن بينها ضاحية سيفران، يُضيّق على النساء ويمنعن من الاختلاط بالرجال أو دخول الحانات أو الظهور في المساحات العامة بالتنانير، بسبب الثقافة السائدة والتقاليد، إذ إن معظم سكان تلك المنطقة من المغاربة المسلمين. (المترجم)

٢ من مقابلة مع المؤلفة في ٣١ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

فاليري تريورفيلار وآن – آيمون جيسكار ديستان. شخصيتان على النقيض تماماً. تقول عن الأولى إنها مفعمة بالرحمة وساخطة على هذه الكوميديا الإنسانية المتمثلة في أحكام الناس التقليديين الذين يطلقون الشائعات ويقتاتون منها: "لمتها من كل قلبي، فما الذي جنته حقّاً. لم يُذكر سوى النزر الضئيل ممّا عانته وعاشته، فكان لذلك وقعٌ مدمّرٌ جدّاً. أكره الناس الذين يطلقون الأحكام. لحسن الحظ أنه كان لها هذا المزاج، وهذا ما أنقذها على الأرجح!". أما بالنسبة إلى الثانية، "السيدة جيسكار ديستان"، فتم تصويرها بطريقة كاريكاتورية مضخمة كامرأة متكلّفة ذات مركزٍ شرفيٍّ من دون أيّ دورٍ عمليّ، وتقول عنها إنها "شديدة الذكاء"، وتأسف لكونها "تدأب على طمس ذكائها".

إدراكاً منها بأنّ "الفرنسيين ينتخبون الثنائي الرئاسيّ"، تبادر بريجيت ماكرون طوعاً إلى الظهور الضروريّ المطلوب، الذي يبدو أنها تستسيغه، وتبدي دهشتها أنها حين ترافق زوجها إلى الأقاليم، يحرص الناس على رؤيتها والتحدث معها وسؤالها عن أولادها، والتقاط الصور معها. "يقولون إنّ ذلك أمرٌ جيد، وإنّ إيمانويل أحسن صنعاً بالارتباط والزواج، والوفاء. فهذا يسحرهم". وبعد توقف قصير، تتابع: "اليوم الذي يصبح فيه غير وفيٍّ، فمعنى ذلك أنه وقع في الغرام. الحب الجسدي لا يعنيه، ولا يثير اهتمامه". لم يُطلب منه الزواج، هو الذي اختاره.

٥

رجل ورسائل

هناك تلك الطفولة التي يقول إنه أمضاها بين الكتب، "في شبه عزلةٍ عن الناس"، يحيا "من النصوص ومن الكلمات". طفولة "تجاوزتْ فيها دروسُ الأدب السرية الحميمة المظاهرَ لتمنح العالم، الذي لا نلامسه إلا لماماً في أيامنا العادية، عمقه كله"، كما ذكر في كتابه *Révolution*. وكان له في تلك الطفولة أكثر من دليل خاصّ، كوليت، التي تعلّم منها ما الهرّ وما الزهرة، ومن جيونو "ريح الريف الباردة وحقيقة الطباع"، وجيد وكوكتو "كرفيقين لا يُستبدلان".

وهناك أيضاً تلك الجدة المثالية التي كان يمضي معها ساعات طوالاً حين كان صغيراً "يتعلم القواعد والتاريخ والجغرافيا"، ويقرأ إلى جانبها موليير وراسين وجورج دوهاميل ومورياك وجيونو "أياماً بكاملها وبصوتٍ عالٍ". جدّة اكتشف على يديها أيضاً

جيد وكامو، تلك التي لم تكن أمّها تعرف القراءة، كانت ترى أنّ إتقان اللغة هو السبيل إلى الارتقاء بالمجتمع، جدّة باتت كتب مجموعتها البيضاء من غاليمار تحتلّ المكان الأفضل في مكتبة إيمانويل ماكرون في توكيه.

وهناك أيضا الوالدان اللذان كانا قارئين جيّدين، وخصوصاً والده الذي ساعده على تعلم اليونانية واكتشاف الفلسفة.

ثم هناك تلك الرحلة شبه التدريبية التي نفذها، كما كثيرون قبله، حين انتقل في سن السادسة عشرة إلى باريس "أجمل المغامرات" التي أتاحت له "سلوك دروب شخصيات فلوبير وهوغو، يحدوه طموح جموح إلى ذئاب بلزاك الفتية". هو نوع من إنجاز لفتى حالم قادم من الأطراف، كتب أيضاً أنه في كل مرة كان يزور فيها العاصمة، كان يرى بروز أبطاله عند منعطف كل شارع، مروراً "بعالم أرسين لوبان، ومونتي كريستو والبؤساء[1]".

وهناك، بالطبع، لقاؤه بريجيت معلمة الفرنسية واللاتينية، التي تصف نفسها بأنها من "المغرمين المتيّمين بالقرن التاسع عشر"، والتي اشتغلت على الروايات الأولى لكريتيان دو تروا (أحد أوائل مؤلفي روايات الفروسية)، والتي تعرّف عن نفسها بأنها "مفتونة بكتابات فلوبير". امرأة تقرّب منها بفضل المسرح، أي بفضل الكلمات.

---

١ *Les Misérables* لفيكتور هوغو. (المترجم)

"كنت أمضي معها ساعاتٍ كل يوم جمعة، وعلى مدى أشهر، نكتب مسرحية، وقررنا إخراجها معاً. كنا نتكلم عن كلّ شيء. وأضحت الكتابة ذريعةً، واكتشفت أننا كنا متفاهمين على الدوام"، كما كتب في *Révolution*.

وهناك تلك الموهبة في الكتابة التي كان المراهق المتحمّس يتوهّم أنها متجذرة فيه، وأن بريجيت، "حين كانت معلمتي في مادة اللغة الفرنسية" (تذكر أنها كانت معلمته في مادة المسرح فحسب)، تقاسمتها معه وشجعته عليها، وفق ما ذكر في حديثه إلى جيروم غارسان في مجلة *L'Obs*[١].

وهناك ذلك الفشل في الدخول إلى l'École normale supérieure، إذ نجح في فونتناي وليس في أولم، حيث رسب مرتين، لكنّه تستّر على ذلك طويلاً، وحافظ على الغموض، موهماً بعضهم أنه تخرّج في المعهد العريق في شارع أولم. جرحٌ جليّ عزا الجانب الأكبر منه إلى أنه كان واقعاً في الغرام، فلم يتمكن من التحضير جديّاً للامتحان. وهو جرحٌ لأنّ بعضهم في فرنسا، ولو لم يظهروا ذلك، ينظرون بإكبار إلى متخرجي هذا المعهد للهالة الفكرية التي لا تجارى، والتي يمنحهم إيّاها، أكثر من سواه. فالتخرّج في هذا المعهد هو أكثر من تميّز اجتماعي، فهو وضعٌ نظاميّ، وتعويذةٌ فكريّةٌ سحريّة حظي بها كلٌّ من سارتر وألتوسير وميشال فوكو...

١ ١٦ شباط/ فبراير ٢٠١٧.

جان – بيار جوييه، الذي كان يتباحث معه في الأدب الروسي والأنكلو ساكسوني، دوماً كان يعتقد أنه من خريجي هذا المعهد، فيما كان يشدّد على الدور الذي كان يلعبه مع بول ريكور وأعمال رولان بارت وجاك دريدا أكثر من مروره في ENA. أحد رفاقه من خريجي هذا المعهد سمعه يذكر أنه بدوره خريج المعهد، فتغاضى عما قاله ولم يعترض، كأنّ "الهذر الكلامي يمكنه أن يحوّل التصوير البرّاق للحقيقة إلى حقيقة واقعة".

ثم هناك ذلك اللقاء مع بول ريكور، الذي قدّم نفسه على أنه مساعده، فيما كان، وفق بعضهم ومن بينهم الفيلسوفة ميريام ريفو داللون في ردّها على سؤال طرحته عليها صحيفة *Le Monde*[1]، عضواً في المجلس العلمي لصندوق ريكور، ومساعدَ نشرٍ لكتاب *La Mémoire, l'histoire, l'oubli*[2]. وهو تقرّبٌ "يُكسبه نفعاً رمزيّاً مبالغاً فيه تماماً".

لكن ما همّ، فإنّ "هذا الفيلسوف في السياسة"، كما أطلقت عليه في تموز/ يوليو ٢٠١٥ مجلة *Le 1*، التي كان هنري هرمان المحسن الكريم لإيمانويل ماكرون شريكاً في تأسيسها، يحمل شهادة في الدراسات المعمقة في الفلسفة DEA من جامعة باريس الخامسة، نانتير، وما حديثه عن عمله مع ريكور سوى باب من أبواب التميّز، وطريقة للتفرّد في السياسة، يقول فيها، مع رجل

١ ٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٦.
٢ **الذاكرة، التاريخ، النسيان**. لو سوي، ٢٠٠٠. (المترجم)

المال الرهيب ماتيو بيغاس مدير الفرع الفرنسي لبنك لازار، الذي يتباهى بأنه يحب موسيقا الروك - بانك هيفي ميتال، ولا يقدّر البورجوازيين: "لست ذلك الرجل الطموح الذي أبدو عليه".

هي وسيلة أيضاً لإضفاء مسحة من الروح، وبعد رومانسي، وإرساء شخصيةٍ من وزن شاتوبريان العصر الرقميّ، المهجّن بغيزو[1] الأزمنة الحديثة.

هناك أيضاً تلك الرواية *Babylone, Babylone* التي كتبها في السنة التحضيرية يوم كان في السادسة أو السابعة عشرة من عمره. مصنّفٌ شامل من نوع مغامرات المشرّدين يتحدث عن غزو أميركا اللاتينية في زمن كورتيس. رواية خيالية عن المغامرين الإسبان، تكشف حتماً عن نزعة الغزو لديه. عرض الكتاب في تلك المدة على بعض الناشرين، فرفضوه بأدب. وهو قد استوحاه، كما تذكر والدته، من رحلة لها مع وزوجها إلى المكسيك. "تأثّر تأثّراً عميقاً بحكاياتنا وغاص في عمل توثيقي هائل"[2]، كما ذكرت.

كتاب قرأه بعض المقربين: جدّته بالطبع، ووالده، وصديقه مارك فيراتشي، الذي تحضّر معه للدخول إلى ENA، والذي جعله يكتشف إيف بونفوا، "شاعر الكشف والشفافية الذي يسعى إلى رؤية ما وراء الأشياء". هذا الصديق، الذي كان إلى جانب هنري

١ فرنسوا غيزو (١٧٨٧-١٨٧٤) مؤرخ وسياسي فرنسي وعضو الأكاديمية الفرنسية. (المترجم)

٢ من مقابلة مع المؤلفة في ٢٠ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

هرمان، شاهدَ عرسه، والذي أهداه بعد رسوبه في ENA أحد أعمال رينيه شار، *Les Feuillets d'Hypnos* (قرأ استشهاداً منه أثناء اجتماعه في ليون)، متضمناً كشعارٍ هذا الاقتباسَ عن المقاوم: "لا تعوقنّك وُحول النتائج"، في جملة إيعازية ذات دلالة.

وهناك العناية حدّ الهوس التي خصّ بها كتابه *Révolution*، وازناً الكلمات بالقسطاس، مناقشاً موضع الفاصلة حتى قطع النفس، ويريد لمسة جدته فيه، وأن يكون فيه أقرب ما يكون إلى ما كانت تريده جدته. كتاب كان يعمل على إتقانه عشية إعلان ترشحه للانتخابات الرئاسية.

وثمة أيضاً "تلك العلاقة شبه المرضيّة" مع الكِتاب، وفق زوجته، وهو "الذي لم يقدّم يوماً هدية سوى كتابٍ ولا يتردّد إلا على المكتبات"، سمع ذات يوم إحدى حفيدات بريجيت تقول له: "أنت تعلم أنّ هناك مخازن ألعابٍ أيضاً!".

ثم هناك هذا "الاعتراف" لجيروم غارسان: "لا أضع شيئاً فوق الكتابة. لا أفتأ أفكر فيها كأنها الفردوس المفقود". كما أنّ الرباط المعقود بين السياسة والأدب يتيح له التأكيد الصريح بأنه "يستحيل عليه النهوض بالواقع إلى مرتبة السموّ من دون المرور بالكتابة".

هناك هذا كلّه، وهناك أيضاً على مدى اجتماعاته استشهادات مسندة ومراجع مردّدة من "عواطف حزينة" الأثيرة على قلب سبينوزا أو *La Comédie humaine* لبلزاك، كإشارات بارزة،

ومنارات تسعى إلى تقديم صورة سياسيّ مثقف وفيلسوف، في عصر الإنترنت، أي بكلمة: سياسيّ مختلف عن كل الآخرين.

رجل سياسة يتخذ له أصدقاء من الكتّاب إيريك أورسينا وفرنسوا سورو، اللذين يمثلان "يساراً ويميناً مثقفاً" ليناسباه بما هو عليه، كما صرّح لمجلة *L'Obs*، وليناسبا أيضاً "الروح الفرنسية" التي لن يكون لها وجود وفق تصريحاته في ليون عن الثقافة الفرنسية... يا له من ربط غريب!

إيريك أورسينا، أكاديمي، ورحّالة، واستشاري شركات. بدأ انطلاقته في الحزب الاشتراكي الموحّد (PSU) وتعرّف إلى ماكرون على هامش اجتماعات لجنة Attali. رجل متفائل وحماسيّ ومرح واصطفائيّ في خياراته وعلاقاته. كان مستشاراً لفرنسوا ميتران. دعم ماكرون في ترشحه للانتخابات الرئاسية، لأنه رأى فيه "رجل أدبٍ حقيقيّاً"، وقدّر لديه حرصه على أن يمنح "كلّ واحد فرصة الامتداد، ويرى في كل كائنٍ بشريّ وعداً. إنه ريكور وليفينا مجتمعَين. هو ليفينا الوجه[1]، وريكور الوعد[2]. هو

[1] إيمانويل ليفينا (١٩٠٦–١٩٩٥)، من أهم فلاسفة فرنسا في القرن العشرين. تستند فلسفته على الأخلاقيات والماورائيات. يحتل الوجه، وجه الآخر، موقعاً مهمّاً في أبحاثه، فهو أول ما تتوجه إليه الأنظار، ويفيض بالتعابير التي تعرّف بصاحبها ولا ينحصر في إطار ثابت. (المترجم)

[2] بول ريكور (١٩١٣–٢٠٠٥). صاحب المقولة الشهيرة "أنا موجود لأني جدير بالتزام وعدي". في رأيه، إن الوعد، أي التعهد الذي يقطعه الإنسان في الحاضر ليحققه في المستقبل، هو ما يحافظ على استمرار العامل الثابت في الإنسان في حين أنّ كل ما فيه يتغير مع الوقت. (المترجم)

يفكر في أنّ المعنى الأسمى للتطور مرتبط بالثقافة. الثقافة أن تكون أكبر من ذاتك. إنها نقيض الاكتئاب. هو نقيض هولاند الذي يرى أن المجتمع تركيبة تقنية قبل أيّ شيء"[١].

فرنسوا سورو تلقى تعليمه لدى اليسوعيين في فرانكلن (المدرسة الباريسية حيث كانت بريجيت ماكرون تمارس التعليم)، وهو شخص ميّال إلى الاكتئاب والقلق. محامٍ لامع ومستشار سياسيّ في مجلس الأمة. وضع كتاباً عن شارل دو فوكو عنوانه *Je ne pense plus voyager*[٢]. هو أيضاً صديق فرنسوا فيون.

كاتبان كالبيرقين، يتنقّل بينهما كما كان شأنه صغيراً حين كان يحمل الكتاب مفتوحاً بين يديه، وهو لم يكن قد تجاوز السنتين من عمره، ويتنقل أمام والديه ليترك انطباعاً فيهما، إذ كان دائم البحث عن نماذج، وعن مرجعيّات، كأنه يعاني نقصاً في هذا المجال في تاريخه الشخصي والعائلي، باستثناء تلك الجدة المعظمة المرفوعة إلى الأبد فوق قاعدتها. ماكرون الشاب، الذي كتب رواية تشرّدية ويؤكد أنه ألّف رواياتٍ سواها ولا يتوقف عن الكتابة، ينضوي ضمن الفئة التي وصفتها مارت روبير في كتابها *Roman des origines et origines du roman*[٣] (محاولة لقراءة نفسية

١ من مقابلةٍ مع المؤلفة في ١٤ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.
٢ **لم أعد أفكر في السفر**، غاليمار، ٢٠١٦. (المترجم)
٣ **رواية الأصول وأصول الرواية**، غراسيه، ١٩٨٨ (١٩٧٢). (المترجم)

تحليلية للرواية انطلاقاً من نص فرويد) عن "الولد اللقيط"، في دراسة تصنيفية نموذجية عن أصل الروايات الخيالية أو التشردية مثل *Don Quichotte*.

في نظرة إيمانويل ماكرون المستمرة إلى عالم الحلم شيءٌ من البوفارية، كما يشير أحد المقرّبين، إذ يبدو مصاباً بالامتعاض الدائم. يتنقّل في رحاب عالم الأدب، كاللاعب الذي لا يتوقف عن ذرع الملعب مراراً وتكراراً، بحثاً عن نماذج من أبطال حلموا طوال عمرهم بحياة كالتي يحب أن يحلم بها.

٦

عن الإغواء

"لأنني أريد أن أكون رئيساً، فهمتكم وأحبُّكم". يوم ١٨ شباط/ فبراير ٢٠١٧ في ختام أسبوع من التنقل الذي لم يهدأ كراقصي الروك اند رول، وأمام جمهور لم يملأ سوى نصف مقاعد الصالة في طولون، كانت فرصة لرئيس حركة "إلى الأمام!" للتوضيح، وللكشف الصافي عن شخصيته، وعن كلّ ما يعتمل داخله. فانطلاقته التي بدا أنّ لا شيء يقف في طريقها، كُبحت فجأةً، كأنها عودة مفاجئة إلى عالم الواقع بعد أسابيع من الانفصال عنه.

الذريعة، والحدث الذي فجّر الوضع؟ من جهة، كلام أدلى به للمحطة الجزائرية Echorouk News في ١٤ شباط/ فبراير ٢٠١٧، وصف فيه الاستعمار بـ"الجريمة ضد الإنسانية"، وبـ"الوحشية الحقيقية"، ومن الجهة الأخرى، الأسف الذي عبّر عنه لمجلة *L'Obs*، على الإذلال الذي تعرّض له المعترضون على زواج

المثليين. تصريحان ينتصبان... واحد عن يمينه وآخر عن يساره.

في نهاية المطاف، ما همّ، ولمَ لا؟ لكن في ما يتعلق بالاستعمار، فإنّ كلامه الذي نلمح فيه استرضاءً انتخابياً موجهاً إلى سكان الضواحي والفرنسيين من أصل مغربي، كان له وقع سيئ ومثير للدهشة. أوّلاً لأنّ نعت الاستعمار الفرنسي، مهما تكن الجرائم التي ارتكبها ومن دون تبرئتها أو التستّر عليها، بجريمة ضد الإنسانية، وبإبادة منهجيّة ومنظّمة لشعب، ليست مقبولة ولا عادلة. ثم، لأنّ هذا الكلام يناقض تماماً ما سبق وأدلى به قبل أشهر لمجلة *Le Point*، والذي اعترف فيه بأنّ الاستعمار كان فيه "جانبٌ من التحضّر". ليكن. لكنّ المرشح للرئاسة، وفق صديقٍ كان قد لامه على تصريحاته هذه، لم ينم الليل بطوله، وكان يحتجّ بعنفٍ كلما ذكر أنه ألقى خطاباً "من أجل الاسترضاء" فقط، ويؤكد أنه سبق وأطلق هذه العبارة: "إنّ الاعتراف بمدى العذاب في كلّ ذكرى، لا يعني نزع شيءٍ من هذه الذكرى"[1]، فدوماً أكّد أنّ "المصالحة شرطٌ ضروريّ أحياناً من أجل التقدّم"، كما ذكّر أنه حين كان وزيراً عمل كثيراً على محاورة معارضيه لإزالة أسباب معارضتهم ("ذهبت إلى غرف التجارة والصناعة، فوقف أعضاؤها وأداروا لي ظهورهم على مدى عشر دقائق لأني قطعت عنهم لأوّل مرة في حياتهم أسباب عيشهم. ووقف موثّقو العهود ضدي

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٢٨ شباط/ فبراير ٢٠١٧.

حين قلت بوجوب إدخال إصلاحات على كهرباء فرنسا (EDF)، وقصدت أحد السنترالات، فإذا بأشخاصٍ كانوا ينتظرونني وهم يهتفون: "سنرفعك على الوتد، ماكرون استقل!"). حين نسمع هذا التصريح، نفكّر في جاك شيراك الذي كان مستعدًّا لكلّ شيء عام ١٩٩٥ من أجل إسقاط بالادور، فتوجّه إلى المقرّبين منه المنذهلين بالقول: "سأدهشكم بديماغوجيتي".

كما نفكّر أيضاً في أنّ على المرء أن يكون وقحاً نوعاً ما وصلفاً ليتجرّأ، تهدئةً للخواطر، على استعادة كلمة قالها مؤسس الجمهورية الخامسة: "فهمتكم". هذه الكلمة المشهورة التي قالها الجنرال في ٤ حزيران/ يونيو ١٩٥٨ في ملعبٍ في الجزائر العاصمة، هي في الواقع قمّة في الالتباس، إذ يمكن كلّ واحدٍ في تلك المرحلة أن يجد نفسه فيها، وأن يسقط عليها تطلعاته الخاصة. وقد جاءت مناسبة تماماً لـ"السيد ماكرون الملتبس"، كما عبّر عن ذلك الصحافي مارك إندولد في السيرة التي وضعها عنه[١]. ترى، ألهذه الدرجة يخشى ألا يثير الإعجاب حتى يتصرّف على هذا النحو؟

هذه الواقعة مهمة، على أيّ حال، لأنها تكشف نوع الاضطراب الذي بدا أنه يضيّق الخناق على إيمانويل ماكرون في مواجهة جمهور لا يسانده، ولا ينسجم مع أطروحاته، ولا يبثّ الحرارة

١ **السيد ماكرون الملتبس**، *L'Ambigu Monsieur Macron, op. cit*. (المترجم)

التي كان ينعم بها قبل أيام أثناء اللقاء الكبير في ليون. كما لو أن هذه البرودة باتت لا تحتملً، ولا يمكنه حتى أن يتقبلها. في ١٨ كانون الثاني/ ديسمبر في طولون، وأمام صالة خلت من جمهورها (تحديداً، بسبب أنصار الجبهة الوطنية FN الذين منعوا المتعاطفين المسجّلين من الحضور)، فقدَ مرشح حركة "إلى الأمام!" كبرياءه. بدا بارداً، ونبرة صوته خلت من تلك الشحنة التي كانت تحملها عادة، ونظرته لم تعد تشع بالجذوة التي كنا نلمحها حتى تلك اللحظة، كأنّ السحر سقط دفعةً واحدة.

مع ذلك، كان الحدث مثيراً للاهتمام. ذلك اليوم في طولون، مضى إيمانويل ماكرون، كعادته في الغالب، وكأنه ساركوزي ماضياً إلى لقاء، لكن بطريقة أشدّ رجوليةً وتحمل نوعاً من التحدي، لمناقشة بعض الجزائريين من أصل أوروبي، الذين جرحتهم تصريحاته واستفزّتهم. إنها عادة لديه، وطريقة لتطبيق أحد أطروحات مفكّره المفضّل بول ريكور الذي علّمه، كما أشار في مقابلة له على محطة France Culture، أن يحافظ في ممارسته السياسية "على ضرورة النظر في وجه الآخر، أو تفهّم رأي الآخر، حتى لو لم يكن منسجماً مع رأيه". وعلى غرار ما كان يكرز عليه ريكور الذي وهو يقرّ بفرادة الإبادة[1] ووحدانيتها، اختار "أن يناقش الذين ينكرونها لدحض فكرتهم"، حرص ماكرون

[1] الإبادة الجماعية المنظمة التي ارتكبها هتلر بحق اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية. (المترجم)

على إقامة هذا الحوار، مقتنعاً بأنّ عليه أن "يمضي إلى المواجهة المباشرة" من أجل مقارعة خصمه توصّلاً إلى "دحض رأيه في ضوء الوقائع، وما حدث حقًّا"، ومقتنعاً بهذا النوع من "التنقّل الضروري بين الأثر والواقعة من جهة، والتمثل الذي نكوّنه عنهما من جهة أخرى".

وكثرت الأخبار الطريفة حول هذا الانطلاق الطبيعي لمرشح "إلى الأمام!". يتذكر جيرار كولومب أنّ إيمانويل ماكرون حين كان لا يزال وزيراً، كان يزور بورصة العمل، فاعترضته إحدى النقابيّات الغاضبات وألقت عليه عبوة لبن كادت تصيبه. بعد بضعة أشهر، وكان لا يزال وزيراً، عاد إلى ليون لزيارة مركز لتعلّم التعدين في الدائرة الثامنة، وفجأةً انفصل عن الموكب لأنه شاهد تلك النقابية وتعرّف عليها. "كنا قد تأخرنا، ولكن لم يكن بيدنا حيلة، فقد كان يريد أن يكلّمها بأيّ ثمن. وبقي معها ما لا يقلّ عن عشر دقائق".

قبل ذلك بمدة، كان قد تصرّف تصرّفاً مماثلاً مع نقابيٍّ آخر كان قد تعرّض له بعنف بسبب قانونه الذي يقترح فيه فتح المخازن يوم الأحد أثناء لقاءٍ في فريسن بدعوة من النائب جان - جاك بريداي. نيكولا بريسيت يروي الحادثة في كتابه *Emmanuel Macron, en marche vers l'Élysée*[1]، "ما هو مطروح

١ **إيمانويل ماكرون إلى الأمام نحو الإيليزيه، بلون، ٢٠١٦.** (المترجم)

الآن هو العمل ليلاً، والعودة إلى إثارة موضوع العمل أيام الأحد! إجابة ناخبيك ستكون الامتناع، أي أسوأ من التصويت للجبهة الوطنية FN!". صاح به ذاك المعارض. تناول ماكرون الكلام وراح يشرح للمعترض وجهة نظره، متوجهاً إليه بضمير المخاطب الفرد، قائلا إن ٣٠% من الفرنسيين يعملون أيام الأحد و"لن يكون هناك عمل من دون أجر". الحضور في القاعة أقنعهم هذا الكلام فدوّى التصفيق الحادّ.

ماكرون الدمث، الذي ترتبط لديه ارتباطاً وثيقاً رغبته في الإقناع بخشيته ألّا يثير الإعجاب، كأنه لا يحتمل فكرة أن يكتشف لدى محدّثه شيئاً آخر غيرَ الموافقة والترحيب، وكأنّه يشعر بالضيق من ألّا يلمح مجدداً نظرات الإعجاب التي طالعته على الدوام منذ طفولته، لدى والديه، وجدّته، ومعلميه، ورفاقه، ثم لدى كل أولئك الذين ساعدوه في تسلق درجات النجاح الباريسي.

"إيمانويل لا يحب التنافر، لا، بل يكرهه. هو يحب أن يحبّه الناس جميعاً، وبات الأمر عنده كنوع من الرّهاب، وربما كان هو السبب وراء تأخره كلّ هذا الوقت في الكشف عن برنامجه"، يقول زميل قديم له في ENA. من جهة أخرى، يكشف جاك أتالي أن إيمانويل "رجل سعيد ولديه رغبة في أن يكون حامل البشرى السعيدة"[1].

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٢٦ شباط/ فبراير ٢٠١٧.

هذا الجانب لم يكن وليد الأمس، فمنذ صغره وهو يحرص على أن يكون مقنِعاً دوماً، وأن يثير الإعجاب، و"استمالة" أولئك الذين لا يحبّونه، كمعلمة البيانو تلك التي رسب على يديها في امتحان كونسرفاتوار أميان، والتي طلب أن يعيد معها، هي بالذات، امتحان الدخول في العام التالي، ليجتاز الامتحان بنجاح هذه المرة.

كانت لديه الرغبة الدائمة في إثارة الإعجاب، والحاجة إلى أن يكون مقدَّراً، وأن ينال رضا المحيطين به، وخاصة من يكبرونه في السنّ، أولئك الذين يملكون سلطة لا يملكها، سلطة المعرفة والفكر، ثمّ السلطة الاقتصادية والسياسية. يريد أن يستميلهم جميعاً، ويفهمهم، من أجل أن يعترفوا به ويعشقوه ويقدّروه، من أجل أن يمتلك هذه الجرعة الصغيرة من التنشيط التي نجدها في السياسة، وكذلك في مصرف الأعمال، حيث "هناك لحظات من الغزو والمطاردة، لكنها مختلفة عن لحظات السياسة"[١]. إيمانويل ماكرون أشبه بدون جوان معطّل الجنس، أو على نحو أدقّ، دون جوان لا يستخدم الغزو والإغراء لأغراض الجنس، ولا لمراكمة الفتوحات النسائية، بل لاستعادة طمأنينة نرجسية متواصلة، لرغبة شبه مرَضيّة في الإغواء والإقناع وتجديد البدايات الباهرة بلا انقطاع. هذا هو الشعور الذي يعبّر عنه دون جوان

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٢٨ شباط/ فبراير ٢٠١٧.

الذي يرى أنّ "للرغبات الوليدة فتنةً لا تفسّر، ولذة الحب كلّها كامنة في التغيير".

هذا يدفع إلى التساؤل هل كان إيمانويل ماكرون لا يفعل ما يفعله إلا لاستعادة نظرة مانيت، جدته المعبودة. تلك النظرة التي حملته وساندته ونمّت لديه أفكاره التحرّرية.

نظرة، غالباً ما يجدها الطالب على مرّ السنين لدى الذين يكبرونه في السنّ، "العارفين" وذوي السلطة، وحدهم الذين يعرفهم، ووحدهم الذين يعرفونه، ويقدّرون ثقافته وذكاءه ومقدرته التحليلية ونضجه... من دون خشية الوقوع في المنافسات والعداوات التي قد نقع عليها لدى أقرانه. من كانوا في مثل سنّه لا يثيرون اهتمامه، فكأنهم يعيشون على كوكب آخر.

لائحة المأخوذين بـ"ماكرون الصغير" ممن يكبرونه في السن، قبل أن يتكوّن لديهم أحياناً انطباع بأنهم "تعرّضوا للخداع كالعجائز البسيطات" لائحة طويلة، وتكوّنت باكراً.

هناك أوّلاً مجموعة بكاملها من المعلمين المفتونين في La Providence، حيث كان هذا الطالب الفريد، الذي يبدو أنه يعرف كلّ شيء، يبهر أساتذته ويتعامل معهم تعامل الندّ للندّ ويعقد معهم جلسات نقاش بعد انقضاء الدوام. هو فائق الموهبة والتقدير. "مانو" الذي قال ليونار ترنوا، أحد أساتذته السابقين في مادة الأدب، في مقابلة مع *Vanity Fair* في شباط/ فبراير ٢٠١٧،

إن ابنته عانت كثيراً من إعجابها بإيمانويل. "كانت تكبره بعام، وتستعد لامتحانات البكالوريا الفرنسية، وكنت أتحدث على المائدة عن إيمانويل الشاب الاستثنائي" كما روى لكلود أسكولوفيتش، من دون التطرق بالطبع إلى السحر الذي مارسه على معلمة المسرح... لم تكن تلك سوى بوادر سلسلة طويلة من البدايات التي لا تنتهي.

في Sciences–Po الموازية لـENA، التي انتسب إليها بعدما أخفق في دخول المعهد العالي، وتسجّل في موازاة ذلك في الفلسفة في نانتير، عرفه سريعاً أستاذه المؤرخ فرنسوا دوس مؤلف سيرة حول بول ريكور. "كان يشارك ببراعة وسهولة (...) وكانت لديه قدرة على التحليل واستخلاص المحصّلات من مختلف المواد التي يتعلمها"[1] كما قال. هو الذي عرّفه إلى الفيلسوف بول ريكور، في تلك المدة حينما كان يبحث عن طالب كفوئ لتنظيم أرشيفه. كان لقاءً تأسيسيّاً، وفق ماكرون، تحدّث عنه بحماسة جديرة بتلميذ حيال معلمه: "لم نعد نفترق بعدها. إنني أدين له بشيءٍ ما هائل: الثقة. كان لي من العمر واحد وعشرون عاماً ولم أكن أعرف شيئاً، ورجل يتجاوز عمره الثمانين، هو صرحٌ فلسفيّ، يوافق على أن أعيد قراءة ما كتب، ويجيب عن حججي ويصنّفني جديراً دائماً بإقامة حوارٍ فكريّ"، كما قال في مقابلة مع مجلة

[1] ورد ذكرها لدى مارك إندويل في **السيد ماكرون الملتبس** *op. cit*.

L'Obs[1]. ويضيف: "حين أكون معك، كان يقول لي، يتكوّن لديّ انطباع بأنني مع مجايل لي. هذا أمرٌ لا يُنسى". لا يُنسى ويكشف في الوقت نفسه عن التأثير الذي كان يخلّفه غالباً إيمانويل ماكرون بمظهره وحماسته الفتيّة في الأشخاص الذين يكبرونه في السنّ. هل هو شعور العودة بالزمن والحديث مع "شاب صغير" كما لو كان ندّاً ومن الجيل نفسه؟

هذا من سماه جوليان دراي ضاحكاً "مغوي العجائز"، إذ يتمتع بموهبةٍ خاصة في سحر من يكبرونه في السن. إيمانويل، وفق أحد أصدقائه من ENA، "كان دائم الاستناد إلى من يكبرونه في السن، فكأنما يجدون فيه ترياق الشباب. يحبون أن يسمعوا كلمات التبجيل والثناء من شابٍّ طموح. هو نهج إغراءٍ على قدرٍ من التأثير. إيمانويل يحتاج إلى أن تترصّده العيون برغبةٍ وانبهار. هو يغري الأشخاص، فيستخدمهم ثم يهملهم حين تنتفي الحاجة إليهم. لديه القليل من الأصدقاء في ما عدا مارك فيراتشي".

سواء أكان ذلك طوعاً أم لا، عفوياً أم محسوباً، فلدى إيمانويل بحسمٍ "طريقة فائقة، تضرب تحرّك وتوثّر"، كما كان يغني دوترون[2]. فهو يملك قدرة عجيبة على إعطاء الانطباع بأنه قريب من محدثه. إنه يغلف جميع علاقاته المهنية بهالةٍ من حرارة، ويولي

١ ١٦ شباط/فبراير ٢٠١٧.
٢ جاك دوترون مغنٍّ ومؤلف موسيقي وممثل فرنسي من مواليد عام ١٩٤٣. (المترجم)

الآخرين اهتمامه، وهذا أمرٌ نادرٌ لدى المنضوين في دوائر السلطة.

في ENA في ستراسبورغ، حيث كان عضواً في مجموعة منبثقة من دفعة سينغور الشهيرة، وتضم ثلّةً من الشباب الواعدين من اليسار واليمين أمثال بوريس فاللو، الذي سيصبح لاحقاً أميناً عاماً مساعداً في الإيليزيه في عهد فرنسوا هولاند، وسيباستيان فيل، حفيد سيمون فيل، وسيبيل التي سيتزوجها لاحقاً، والتي بدورها من متخرجات ENA، وستعمل لحساب نيكولا ساركوزي، وسيباستيان بروتو، الذي سيعمل أيضاً لحساب ساركوزي في الإيليزيه وهو اليوم مصرفي لدى روتشيلد، وماتياس فيشيرا... كانت لديه عادة توزيع القبلات بلا حساب، ومصافحة كلّ من يصادفه. من حارسة البوابة إلى الحُجّاب، إلى كلّ الناس. "كأنه في حملة انتخابية". فيبادر من يلتقيها بالقول: "صباح الخير عزيزتي!"، كما يقول بعضهم ممن لا يرون في هذه التصرفات سوى محاولة مبالغة للظهور.

في تلك الحقبة، كان الشاب يحب المزاح، لكنه في الخامسة والعشرين من عمره، كان يترك انطباعاً بأن حياته في مكان آخر، وبأنّ لديه مسؤولياتٍ، وأولاداً وحتى أحفاداً، فيما يعطي دروساً في المسرح! في عطلة نهاية الأسبوع، لم يكن يثبت في مكان، وكان يترك دائماً مسافةً بينه وبين رفاقه هواة الطرائف والسهرات بين الكاراووكي ومقهى Académie de la bière. ذات يومٍ، عمد

رفاق دفعته إلى قرصنة بريده الإلكتروني وأرسلوا عبره رسالة موقّعة باسمه تقول: "أيها الأعزاء جميعاً، تروني كلّ صباح، أقبلكم، وأبتسم لكم، لكني في أعماق نفسي، أحتقركم جدّاً". كدليلٍ على معرفتهم بحقيقته. في ذلك اليوم، ضحك ماكرون... ضحكةً صفراء.

على مرّ السنين، وبفضل تلك المودة الخارجة عن المألوف، تابع إيمانويل ماكرون بنشاطٍ كبير توسيع مروحة اتصالاته وبسط شبكته. يتذكر غاسبار غانتزر (من رجال فرنسوا هولاند، وتولى مهمة الاتصالات في الإيليزيه منذ ٢٠١٤) أحد زملائه في ENA، أن "إيمانويل كان استثنائياً في كياسته". كانت حياته الشخصية حافلةً تماماً، ولكن كان لديه أيضاً "ألف نشاط جانبيّ آخر، سياسي وثقافي، وكان يعرف عدداً لا يحصى من الأشخاص. ما زلت أذكر أنه حين جاء إلى ENA كان يعرف المديرة، ماري – فرنسواز بيشتيل (مديرة ما بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠٢)[١]"، التي كان قد التقاها لدى شيفانمان.

ميزةٌ أخرى. في تلك الحقبة، كان ماكرون الشاب ميّالاً إلى اليسار لكن أقلّ التزاماً من بعض رفاقه أمثال ماتياس فيشيرا، ولم يكن مهتمّاً بالفتيات. كان ممتلئاً ببريجيت، ولم يكن بحاجة إلى "شيءٍ آخر" بخلاف رفاقه. وهكذا كان في إمكانه أن

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٣٠ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٦.

يتفرّغ لدروسه وبناء صرح العلاقات الذي سيساعده على ارتقاء الدرجات، مدفوعاً بتلك التركيبة الإنسانية الخاصة به التي ستتيح له الحصول على أعلى علامة بعد انتهاء تدربّه، في مديرية l'Oise: عشرة على عشرة. علامة لم ينتزعها سوى ثلاثة من أصل مئة وأربعين، ومشفوعةً بتنويه: "طالب يمتاز بجاذبية استثنائية".

ذكاء، قدرة تحليلية، طاقة على العمل، "جاذبية استثنائية"، امتيازات جديّة للانطلاق، وتعاطف لا يفتأ جميع عرابيه يمتدحونه لديه، وعيونهم تشعّ إعجاباً. إنه يقدم دليلاً على "قدرة حقيقية لديه على وضع نفسه موضع الآخرين، وإعادة صوغ أفكارهم"[١]، يقول صديقه مارك فيراتشي، من دون أن يبدو أنه ينتظر شيئاً في المقابل.

كل ما فيه موجّه نحو فنّ المحادثة، الذي يفصّله على قياس محدثيه، نحو ذاك الذي يسمّيه المحللون النفسيون التعاطف الإدراكيّ، أي القدرة على تمثّل الحالات الذهنية للآخر.

تدبير يتجلى باكراً لدى بعض الأولاد القادرين ليس على التقليد فقط، فإيمانويل الصغير كان يتظاهر بأنه يقرأ ويضع قلماً في الكتاب كما كان يرى والديه يفعلان، ولكن أيضاً على إدراك ما يحدس به الآخرون.

١ من مقابلة مع المؤلفة في ١٣ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

٧

العرّابون والإخوة الكبار

بفضل خصاله الحسنة، وقدرته المذهلة على العمل، ومرحه الشبابي في دوائر السلطة، توصل إيمانويل ماكرون إلى أن يلفت إليه نظر الأشخاص المناسبين في اللحظة المناسبة، من دون أن يبدو أنه يتعمّد ذلك! ذاك الذي نسي سريعاً أنه أراد أن يصبح كاتباً، كان له، بالتتالي، أكثر من أبٍ، إضافةً إلى أبيه. ومن العديد من المرشدين، الآباء أو "الإخوة الكبار"، كما كان يسمّي بعضهم محبّةً واحتراماً، كوّن عائلة جميلة صغيرة. وقد اختار تسمية أخٍ أكبر لأنه وجدها أكثر إطراءً وكياسة، حتى لو كانت التسمية لا تناسب نوعاً ما بعضهم الذين كانوا يكبرونه بثلاثين عاماً على أقل تقدير.

على أيّ حال، حظي إيمانويل ماكرون بأبوة متعدّدة وانتقائية. وقد فسّر جوليان دراي ذلك بقوله: "هو يتودّد دائماً إلى العجائز،

ويضع نفسه دوماً في موضع الابن الذي تمنوا أن يرزقوا به". أحد هؤلاء الإخوة الكبار يحلّل بدقّة من وراء سنواته السبعين: "العجائز، لو سمحت لنفسي بهذه التسمية، يُسرّون دوماً حين يرون أنّ شابّاً يوليهم اهتمامه. وبما أنّ فائدتهم الاجتماعية أضحت لديهم موضع تساؤل، بات من غير الممكن ألّا يشعروا بالإطراء حين يكتشفون أن وزيراً شابّاً ولامعاً يقول لهم: أنا بحاجة إليكم".

رجلٌ آخر كان لديه هذا النوع من السمعة منذ بضع سنوات، وكان قادماً بدوره من الأقاليم، إذ ولد في غرينوبل، وكان يحمل أيضاً شهاداتٍ عليا من معهد البوليتكنيك، وتخرج في "المعهد الوطني للإدارة"، وشغل منصب مفتشٍ ماليّ، وكان فائق الموهبة، ولطيفاً، وله الوجه الطفولي نفسه. وهو مثل ماكرون ترك الوظيفة العامة وانضم إلى مصرف الأعمال، لازار، بعدما مرّ في الوزارات (مستشار تقنيّ مكلف الخصخصةَ في وزارة إدوار بالادور) قبل أن يسجل انطلاقة سريعة على رأس شركة Vivendi، بفضل لقاء جمعه مع غي دجواني، رئيس الشركة العامة للمياه، الذي سيحلّ محله عام ١٩٩٦... كان اسمه جان – ماري مسييه.

بعد بول ريكور، الذي جمعته به "علاقة شبه بنويّة"[١] وفق فرنسوا دوس، وبعدما تقرّب زمناً من لوران فابيوس (كان قد أمضى ستة أشهر عام ٢٠٠٠ في وزارة جورج سار من "حركة مواطنين")،

١ وردت العبارة في كتاب *L'Ambigu Monsieur Macron* المذكور سابقاً.

كان في انتظار ماكرون الشاب لقاءٌ مصيريّ آخر، هو لقاؤه هنري هرمان.

قدّمه أحياناً على أنه مرشده السياسي. رجل الأعمال الكتوم كان قد كوّن ثروته من تجارة الجملة وتميّز بأنه من مموّلي اليسار التقدمي. هذا الإصلاحي، الذي مات في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٦، شارك في تمويل عدد من مراكز البحوث اليسارية التي تضم مجموعةً من الخبراء والباحثين، كـ"جمهورية الأفكار"[١] لبيار روزانفالون، أو Terra Nova[٢]، والمساهم الذي يملك الحصة الأكبر في المجلة الأسبوعية *Le 1* التي أسسها إيريك فوتورينو، المدير السابق لصحيفة *Le Monde*، التي كان ماكرون يكتب فيها بانتظام.

مقاوم قديم مقرّب من الأوساط الثقافية التقدمية ومن مجلة *L'Esprit*، "مناهض للاستعمار، إنسانوي ومسيحي"، كما صنفته صحيفة *Le Monde*. هذا العضو السابق في الحزب الاشتراكي الموحّد (PSU)، الذي كان قد أعلن دعمه مرشحي "اليسار

١ أسست عام ٢٠٠٢ وتضم مجموعة من المفكرين من يسار الوسط. هدفها "إنتاج الأفكار الجديدة وتبادلها في أوروبا والعالم"، وتركز نشاطاتها على محاور أربعة: تحولات الرأسمالية، الديموقراطية الأوروبية وحدودها، جيوبوليتيك العولمة، وما بعد مجتمع الأفراد. (المترجم)

٢ أسسها عام ٢٠٠٨ أوليفييه فيران. تُصدر تقارير ودراسات تحليلية عن الأوضاع السياسة الراهنة وتقترح لها الحلول، كما تعمل على تجديد الديموقراطية الاجتماعية والأفكار الديموقراطية الاجتماعية في فرنسا وأوروبا. (المترجم)

الثاني"[1] بقيادة ميشال روكار، قرّر التحوّل إلى دعم هذا الشاب. إثر لقاء على غداء في مديرية l'Oise حيث كان ماكرون يمضي مرحلة تدريبية في الإدارة العليا، بعد بضعة أشهر أمضاها في نيجيريا، قال له هرمان، الذي كان قد وقع تحت سحر هذا الفتى "اللامع": "تعال إلى باريس، سأعرّفك إلى بعض الأشخاص"، كما تذكر زوجته بياتريس. وهكذا دخل إيمانويل وبريجيت حياة عائلة هرمان. "إيمانويل وهنري كانا يلتقيان غالباً، وكنا نتناول العشاء في أكثر الأحيان، نحن الأربعة، أو مع مجموعة من الأصدقاء. كما كنا نمضي معاً بعض الإجازات القصيرة"، تقول مضيفةً. كما أكدت أرملة ذلك المثالي السخي، الذي كان قد أقرض إيمانويل ماكرون المال لشراء شقته الأولى، وكان من بين الأوائل الذين دفعوه إلى تمثيل يسارٍ تقدمي بات يتيماً، ثمّ إلى التقدّم إلى الانتخابات الرئاسية بعدما أخفق في جعل ميشال روكار رئيساً، أنّ زوجها وإيمانويل كان يحب واحدهما الآخر حبّاً جمّاً. "إيمانويل كان نوعاً ما بمنزلة ابنه"، قالت متذكرة أن بريجيت وافقتها الرأي إذ باحت لها ذات يوم أن "إيمانويل لم تكن له قطّ مثل هذه العلاقة مع والده الحقيقي".

وفي الواقع، حين تزوج إيمانويل وبريجيت عام ٢٠٠٧، كان

١ حركة سياسية أسسها ميشال روكار عام ١٩٧٧، في مقابل "اليسار الأول" المبني على الماركسية بالمنظار الفرنسي وعلى بعض أفكار الثورة الفرنسية. (المترجم)

هنري هرمان، الذي "نظّم العيد" وفق سيلفي روكار، أحد شهود العريس. وقد كان بالفعل عند وعده، إذ "عرّفه إلى أشخاص كثيرين". "هنري"، كما تشهد سيلفي روكار زوجة رئيس الوزراء السابق "فتح له جميع الأبواب وعرّفه إلى ميشال (روكار)". وبات يلتقي غالباً الزوجين روكار كما كان يلتقي الزوجين هرمان. وتتذكر سيلفي روكار، التي أشارت بالمناسبة إلى أنّ لدى ماكرون موهبةً مميزة "إذ يوحي إلى جليسه في خلال ربع ساعة أنه يعرفه منذ زمن طويل"، العشاءَ الأول الذي دعتهم إليه بريجيت وإيمانويل "في شقتهما الصغيرة قريباً من غوبلان"، وكان قد مضى على انتقالهما إلى باريس عشر سنوات. "أريكة الصالون كانت على بعد مترين من غرفة الطعام. كانا متأثرين لرؤية ميشال واستقبلانا بكثيرٍ من الحفاوة"[1].

هذا التبني الروكاردي كان إيمانويل ماكرون يعوّل عليه خاصة. وحتى لو لم يكن له من العمر سوى إحدى عشرة سنة حين كان روكار رئيساً للوزراء، فإنه يقدّر له خلال إقامته في ماتينيون[2] تحقيقه "تقارب الدولة مع المجتمع المدني"، الذي أتاح، كما صرّح لصحيفة *Le Parisien* غداة رحيل الرئيس السابق للحزب الاشتراكي الموحّد "فتوحات اجتماعية كبرى كوضع قانون الحدّ

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٢٦ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.
٢ المقرّ الرسمي لرئيس الوزراء الفرنسي. (المترجم)

الأدنى للمساعدات[1] (RMI) موضع التنفيذ"، و"إصلاح العمل الاجتماعي" في المحاولة الإصلاحية الأولى للدولة، "من دون حساب مساندته الاقتصاد الاجتماعي للسوق". وحتى لو كان رئيس الوزراء السابق قد أسف، في مقابلته الوصية مع صحيفة *Point* أن يكون ماكرون "بعيداً عن كل هذا"، لكنّ ماكرون ظلّ يركّز على هذا التبني الفكري الذي جمعه مع ذلك الوجه الأخلاقيّ لليسار الثاني.

هل هي طريقة للإيحاء بأن علاقاته مع عرّاب اتفاقات كاليدونيا الجديدة[2] لم تكن من طبيعة العلاقات نفسها التي تربطه بسائر تلاميذه في السياسة؟ "أولئك الذين عرفوا روكار في السلطة لم يكونوا يعرفونه إطلاقاً"، قالها، قاصداً مانويل فالس وستيفان فوكس وألان بوير. ويتابع بشيءٍ من المرارة: "هم أشخاص لا صلة لهم بقضايا الفكر. رجال شبكات يحبّون السلطة"[3]. هكذا! ماكرون الودود والبالغ اللطف يعرف كيف يبرز أنيابه حين يجد نفسه عرضةً للمنافسة. ويعترف بابتسامةٍ وبمرح: "ربما أنا مسيحويّ، ولكن حين أتلقّى صفعة على الخدّ الأيمن..."،

١ تقديمات في ظروف معيّنة لمن هم فوق الخامسة والعشرين من العمر تتيح لهم حدًّا أدنى من متطلبات العيش. (المترجم)
٢ تعرف أيضاً باسم اتفاقية نوميا بين طرفي النزاع في كاليدونيا الجديدة، المطالبين بالاستقلال عن فرنسا ورافضي هذا الاستقلال. (المترجم)
٣ من مقابلة مع المؤلفة في ٩ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

كأنني أوديار أردّد لازمته الشهيرة في فيلم Tontons flingueurs[١]: "المجانين، أنا أعالجهم، وسأكتب له وصفة قاسية. سيعثر عليه في زوايا باريس الأربع، مبعثراً في قطع صغيرة، كقطع البازل. أنا، حين يتمادون معي، ألقنهم الدرس: أنا أصبح بارودا، أحوّل إلى شظايا، وأذرو القطع في الريح".

بعد هنري هرمان، الذي أدخل إيمانويل إلى باريس ووضع له الرِّجل في الرّكاب، ستتولى المهمة مجموعة من عرّابين آخرين ذوي مراكز مرموقة أعجبوا به، من بينهم: جان – بيار جوييه، جاك أتالي، دان – ميشال داروا، سيرج وينبرغ، آلان مينك، دافيد دو روتشيلد، فرنسوا هنرو و... فرنسوا هولاند الذي سمعه أحد مستشاريه ذات يوم يقول: "إيمانويل، هو الابن الذي يتمناه كلّ أب"، من دون أن يتخيّل أنّ بعض الأبناء تتملكهم، أحياناً، الرغبة في قتل آبائهم...

ينعم إيمانويل ماكرون بأبوة انتقائية... ويحسن اختيار عرّابيه، ليس لتكوين عائلة عديدة الأفراد ولكن على الأقل عائلة بعددٍ مشرّف. فهو يعرف، بعينيه المتفرستين، ونظرته المثبتة على نظرة الآخر، كيف يقدّم نفسه المحدّث المثالي، وكيف يلتقط الأسرار من دون أن يقدم في المقابل سوى القليل جدّاً من ذاته. لقد أدرك جيداً أنّ عليه أن يظهر بمظهرٍ آسرٍ ومتعاطف لكي يشقّ لنفسه الطريق.

---

١ فيلم كوميدي للمخرج جورج لوتنر. حوار ميشال أوديار، وبطولة لينو فنتورا وبرنار بلييه وجان لوفافر. (المترجم)

هل هو مخادع يصطنع الاهتمام، كما يرى بعضهم؟ "الجواب معقّد"، تقول شخصية مهمّة تعرفه جيداً. "هو لا يشبه فنسان بولوريه، الكاذب الذي يتمتع بالسحر والذي لا يمكن الوثوق به إطلاقاً. إيمانويل ليس مخادعاً... ثم، ما هي الحدود بين التعبير عن المودة وبين حقيقة هذه المودة؟ من الصعب الإجابة".

يصعب الجزم هل كان إيمانويل ماكرون بمظهره الودود، واهتمامه الملحوظ بالآخرين، ليس، كعدد من السياسيين، مخادعاً بشوشاً عاطفيّاً موهوباً بفن المصارحة لاكتساب ثقة محدثه. جان بايريليفاد، الرئيس السابق لكريدي ليونيه، المقرّب من فرنسوا بايرو الذي ساند إيمانويل ماكرون في البداية قبل أن يبتعد عنه، لم يستسغ أن يضع الأمين العام المساعد لقصر الإيليزيه، في لقاءٍ تلفزيوني، في "خانة العاطفية المحبَطة ما ينتج من التحليل السياسيّ الصرف. صدمتُ. كأنّ ماكرون لا يستطيع تحليل العلاقات بالآخرين إلا بتعابير عاطفية وإغرائية".

على أيّ حال، كما أنّ جاك شيراك عرف جيداً في زمانه كيف يحوز ثقة بعض المقرَّبين عبر اللعب على وتر الحب البنوي أو استخدام الرباط العاطفي، فإنّ ماكرون يبدو موهوباً جدّاً في هذا النوع من التمارين. وذلك مما لا شكّ فيه، إذ إنّ موهبته في هذا المجال لا تنكر، فهو ينجح في نيل الإعجاب من دون أن يبدو أنه يبذل جهداً في سبيل ذلك، عبر إبداء لطافةٍ في كل اختبار،

وترحيبٍ وإصغاءٍ نادرين، وبإبراز ميزةٍ قليلة الانتشار تقريباً هي "فنّ الندوة بين رجلين"، كما يختصر ذلك فرنسوا هنرو. فهو يتمتع بقدرةٍ على الإقناع واجتذاب محدثه بالنظر إليه في عمق عينيه، كأنّ المحادثة الجارية هي أهمّ ما يحدث في العالم، وكأنّ الوقت ليست له أيّ أهمية، وأنّ الدقائق يمكنها أن تتمدّد. الموعد الذي يكون مقدّراً له أن يستمرّ خمس عشرة أو ثلاثين دقيقةً يمتدّ إلى خمس وأربعين دقيقة أو ساعة أو حتى ساعتين. بصراحة، المحادثة المشوّقة التي بدأت للتوّ يجب ألا نتوقع لها أنها ستنتهي في خمس دقائق.

فرنسوا هنرو، أحد "إخوته الكبار" الذي كان قد ناضل لاجتذابه إلى العمل لدى روتشيلد، يتحدث عن "قدرته غير العادية على الإصغاء وسط هذه الهيئة من المفتشين الماليين". ويتابع: "أولئك الذين لا يرون أنّ لا وجود إلا لحقيقة واحدة هم قلة. وأولئك الذين يتركون لدى الآخر انطباعاً حقيقيّاً بأنّ رأيه يوازي في الأهمية رأيهم يعدّون على أصابع اليد الواحدة"[1].

ويتابع نائب رئيس روتشيلد:

> لديه على الجميع قدرة إغراءٍ قويّة، وهذا أمرٌ لا نقاش فيه. لكنه ليس إغراءً مفتعلاً، بل طبيعيّ. إنه من نوع الأشخاص الذين ينشرون شعاعاً حولهم على مدى

[1] من مقابلة مع المؤلفة في ٢٦ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

دائرة كاملة، والذين يثيرون افتتان الجميع بهم من دون تمييزٍ في العمر أو الجنس أو مستوى التعليم أو الثروة.

ميزة خاصة كانت لابن الطبيبين حتى قبل الدخول في السياسة، يقول هنرو الذي يتذكر وهو يبتسم أنه حين ألقى التحية على الحاجب عند مدخل المصرف وسأله عن أحواله، أجابه: "آه، سيد هنرو، أنت تعلم، ليس هناك سوى ثلاثة أشخاص يقولون لي دوماً صباح الخير ويتمنون لي نهاراً سعيداً، السيد دافيد (دافيد دو روتشيلد)، وأنت، والسيد ماكرون".

أخيراً، مع طبعه الصافي البريء، ألم ينشئ ماكرون الشاب حوله باكراً جداً نظاماً واسعاً من الزبائنية؟ طريقة لضمّ أتباع من كلّ صوبٍ لقاءَ امتيازاتٍ يحصلون عليها في المقابل؟ هنا أيضاً، يدافع فرنسوا هنرو عن مهره: "لا، ما من زبائنية لأننا لا ننال منه شيئاً. ويمكنني القول إنّ ما من واحد من الزملاء الذين لهم مصالح مع أجهزة الدولة حظي بمعاملة خاصة. من يقل زبائنية يقل توزيع امتيازاتٍ، ولا شيء من هذا القبيل في هذا النظام. ما من حظوة من الدولة حين كان في الإيليزيه خدمةً لروتشيلد، وما من امتيازٍ حصلنا عليه في الأعمال التي كلفنا إياها".

ودعماً لكلامه، يذكر المصرفيّ أنّ ذاك الذي كان أميناً عاماً مساعداً في الإيليزيه، رغم معرفته أنّ روتشيلد كان ينصح مارتان بويغ وكان مهتمّاً جدّاً بإنجاح عملية تنظيم شركات التلكوم حول

أورانج، لم يتردّد في وضع سلسلة من الشروط التي أدّت في النهاية إلى إحباط العملية.

فرنسوا هنرو لم يكن الوحيد المنخدع بإيمانويل ماكرون. فلائحة شهاداتِ المديرين أو رؤساء المؤسسات الذين وقعوا تحت تأثير سحره طويلة.

ها هو مارك سيمونشيني يقول في رسالته الإلكترونية: "لا أعتقد أنّ لديّ الكثير لأرويه لكِ. لم أُمض مع إيمانويل سوى وقتٍ قليل، فكأنكِ تطلبين مني، إلى حدٍّ ما، أن أروي لكِ حكاية الحب مباشرةً غداة الوقوع في الحب من النظرة الأولى". وها هو كزافييه نيل، الذي نسي أنه نعت ماكرون بـ"الشرير" في قضية صحيفة *Le Monde* (وقد كان آنذاك مستشار الحملة المواجهة)، ينسج علاقات صداقة مع المصرفيّ الشاب لدى روتشيلد الذي أصبح وزيراً، والذي يمثّل في نظره زبدة أسياد التكنوقراط، ويضيف: "قوته أنه زميلٌ مع الناس جميعاً"[١].

يمكننا أن نكتب صفحاتٍ وصفحاتٍ من الشهادات في هذا الاتجاه، فالشخصيات المهمة التي لا تنقطع عن الثناء على الوزير السابق، عديدة. ينوّهون بتعاطفه الكبير، وموهبته في الانفتاح على الآخرين، واستعداده الدائم للإصغاء، دوماً يصغي، وهذا ما يمنحه امتيازاً ملحوظاً في تجنب الكشف عمّا في نفسه. كما يتحدثون

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٦ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

عن عفويته والجانب الفطريّ فيه.

دافيد دو روتشيلد، مثلاً، قدّر ذكاءه وسحره؛ "ثمّة شيءٌ ما في شخصيته آسرٌ بما لا يوصف. هو لا يعدم وسيلة للتأثير، أما في المجال السياسي، فهو غالباً ما يضع القناع". ويضيف: "في الحياة اليومية، وفي مؤسسة تضم ٧٠٠ شخص، هي ليست الأمة الفرنسية، يفعل الأمر الطبيعي الذي لا يفعله الكثير من الناس: يقول صباح الخير للسكرتيرات، يسأل عن أحوالهنّ، يطبع على وجناتهنّ قبلة. حين تحدثه ينظر إليك، وهو جدير بأن يظهر الحنان، والتعاطف. هي ميزة في الحياة الجماعية أنّ له صلة بالآخر"[١].

المحامي جان – ميشال داروا، الذي بفضله استطاع إيمانويل ماكرون الحصول على "صفقته" الكبرى لدى روتشيلد، وهي صفقة Nestlé، يذكر: "هو مختلفٌ عن الآخرين. نشعر أنّ لديه شيئاً ما خاصًّا، هو الاستعداد الدائم للإصغاء". قبل أن يضيف كي لا يتهم بالسذاجة: "نتساءل غالباً مع سيرج (وينبرغ) وآلان (مينك) هل يمارس سلطة إغواء فريدة على الرّجال المتقدمين في السن... كان ذلك شديد الوضوح. على أيّ حال، شخص آخر وقع في سحره، هو برابيك (رئيس Nestlé ومديرها العام)".

من ناحية أخرى، سيرج وينبرغ المثقل بالتجارب، يبتسم

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٢٤ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

بارتياح في مقعد مكتبه الفسيح في Sanofi[1]. بصوتٍ رقيق، ونظرةٍ مشعة، يعترف بأنه حين التقى ماكرون، للمرة الأولى، في لجنة أتالي حكم عليه بأنه "شخص خارج المألوف".

"صادفت في حياتي العديد من التكنوقراط، فلم أجد لديهم، في الغالب، قدرةً على التنظير الفكري. لكن هو، بشخصيته وتعاطفه يستطيع أن يجمع، في الوقت نفسه، بين القدرة على التفكير في المفاهيم النظرية، والدخول في التفاصيل التقنية لمسألة من المسائل حتى لو بدت متناقضة"[2]. وأصبح الرجلان "رفيقين تقريباً أو حتى رفيقين جدّاً". وحين طرحت قضية مستقبله المهني، اتصل وينبرغ بدافيد وفرنسوا هنرو لينصحهما بمقابلة هذا الفتى الواعد الذي امتدح فيه "مرونته الفكرية، ودماثته التي تسهّل له سبل النجاح في هذه المهنة". بعد ذلك بسنوات، كان من الطبيعي أنّ أوّل من فاتحهما ماكرون برغبته في تأسيس الحركة السياسية "إلى الأمام!" كان سيرج وينبرغ وجان - ميشال داروا. "هذا أنا عمّو، عمّو العجوز!"، يقول المستشار السابق لفابيوس. الإعلان تمّ أثناء عشاء "غير رسميٍّ على الإطلاق"، شاركت فيه أيضاً بريجيت ماكرون، وفيليسيتيه هرتزوغ زوجة سيرج وينبرغ، وبيتينا ريمس زوجة جان - ميشال داروا.

١ شركة فرنسية تشمل نشاطاتها مجالات الصيدلة واللقاحات والطب البيطري. (المترجم)

٢ من مقابلة مع المؤلفة في ٩ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

ويعترف وينبرغ بأنه هو نفسه لم يقتنع مباشرةً، وأثار مجموعة من علامات الاستفهام حين وجد أنّ ملامح المرحلة التالية لم تكن واضحة تماماً في نظر ماكرون. ولكن بما أنه كان متأثراً، آنذاك، "بثقة إيمانويل ماكرون العميقة بنفسه، فقد شعرتُ، أبعد من العلاقة التي كانت تجمعنا، باقتناعٍ راسخٍ أطاح جميع التحفّظات التي أثرتها آنذاك". هل هو نوعٌ من العمى؟، "الحدود دقيقة جدّاً، ويقتضي الكثير من التصميم وثقة لا تتزعزع بالنفس لا تكون من النوع العقلاني، من أجل التقدم إلى انتخابات الرئاسة".

مع الوقت، تفكّكت روابط مع بعضهم، فيما استمرت أخرى لكن مع تساؤلات جديدة صامتة في الغالب، حين لا تكون تعبيراً معلناً عن الإحباط. "إيمانويل كانت لديه على الدوام ولاءاتٌ متتالية، أو بالأحرى خياناتٌ متتالية"، يحلل أحد زملائه في ENA، الذي يذكر أنه "لا يبادل الخدمات. يستخدم الناس، والمستغرب أنّ الناس، وهم أذكياء في الغالب، يدركون ذلك، ومع ذلك يتقبّلونه!". هو دون جوان، يقولون لك.

بالطبع، من يبدو بموضوعية أنّه المخدوع الأكبر في هذا المضمار وفي هذا التنقل بين الأبوات العاطفية هو فرنسوا هولاند. فرنسوا هولاند ذو المزاج المنسجم مع مزاج محميّه القديم: "ودودٌ في الظاهر، باردٌ وعديم الإحساس في الواقع". ولعلّ الرئيس كان عرضةً دوماً للخداع، حتى لو أنّ الأمر تطلّب منه

وقتاً ليكتشف ذلك كما تثبته التبادلات بين جيرار دافيه وفابريس لوم، في كتاب *Un président ne devrait pas dire ça*[1]. صديق مشترك بينهما يقول بمرح: "سمعت الرئيس يقول لي قبل وقتٍ طويل من مغادرته إنّ إيمانويل كان الابن الذي يتمناه كلّ أب. وما حدث لاحقاً كان مؤلماً بالنسبة إليه شخصيّاً، إذ تملكه شعور بأنه تعرّض للخداع. ماكرون كان بالغ اللطف والمرح... ولم يراوده أنّ الآخر كان في صدد الانقلاب عليه؟".

الضربة الأقسى هي التي وجهها إيمانويل ماكرون، وهي أقسى من ضربة مانويل فالس، بصفته مرشّحاً، ومهما بلغت نسبة الأصوات النهائية التي نالها، فقد حال، حسابيّاً، دون انتقال اليسار إلى الدورة الثانية.

ربما شعر رئيس الدولة بأنه أقوى منه. "وكالآخرين، ربما قال في نفسه: اللعنة، لقد نال مني أيضاً!". ثمة أمرٌ يجب أن يكون معروفاً في الواقع: حين تلوح الفرصة لإيمانويل، فهو لن يتخلّى عنها".

ويلاحظ أحد المراقبين أنّ الأمر نفسه كان يتكرّر كلّ مرّة مع جميع عرّابيه أو آبائه. في مرحلة أولى، كان هؤلاء يعتزّون بأنّ مهرهم يحقّق النجاحات في الحياة الباريسية، وفي مرحلة ثانية، يدركون أنّ راستينياك[2] استغلّهم، وأنّ "السيد لم يكن هو من

١ **ليس على الرئيس قول هذا**. ستوك، ٢٠١٦. (المترجم)
٢ إحدى شخصيات بلزاك، التي يرمز بها إلى الإنسان الوصوليّ. (المترجم)

نظنّ". وفي كلّ مرّة، كان هؤلاء الأشخاص المحترمون "يذهبون إلى إيمانويل الذي لم يكذب عليهم مرّةً، لكنهم هم من أساؤوا التقدير".

أحد رجال المال، ممن جذبته محاولة إيمانويل ماكرون تجسيد يسارٍ تقدمي، قبل أن يتخذ منه موقفاً متحفّظاً بعدما سمعه في اللقاء الأول في قاعة la Mutualité يلقي "خطاباً رائعاً لكنه أجوف تماماً"، أعلن صدمته من طريقة ماكرون. "هناك، أوّلاً، محطة مكثفة من الإغواء، مع جانب أكثر من أليف، كما لو كنا حميمين، ورسائل إلكترونية مذيّلة بتوقيع: قبلاتي، ثم هناك الانطباع بأن كمية الإغواء كفيلة بتجنيبه الخطاب العقلاني، وقول ما يفكر فيه. يقول الشيء ونقيضه لكن من دون ملاحقة الفكرة وتفصيلها، ولا تقديم نظرة إجمالية شاملة، مكتفياً بالحديث عن المرحلة التي تلي".

وفي رأي هذا الرجل المحبَط، إنّ تسليط الاهتمام على الآخرين هو أيضاً الوسيلة الفضلى التي اهتدى إليها الوزير السابق، "المنشغل بتعظيم نفسه"، من أجل التقدم لابساً القناع.

استطاع إيمانويل ماكرون، الذي كانت لديه الجرأة في بداية حملته على تقديم نفسه كمرشح مناهض للنظام، أن يحقق تقدّماً سريعاً بفضل هذا "النظام": نظام المراتب العليا في الإدارة العامة، ونظام المال. "النظام هو الذي دفعه عبر آلية الارتقاء المعتمدة، التي

تقتضي نوعاً من أنواع المتابعة لرصد الكفاءات الأفضل ودفعهم إلى الأمام"، كما تؤكد إحدى الشخصيات المهمة. "هذه الأنظمة فرضت نفسي عليها بعملي ولم أستمرَّ فيها. ما إن فهمتها، حتى أحجمت عن الانخراط فيها. لم أرض قطّ بالتنعم برفاهية نظام"[1]، يقول إيمانويل ماكرون مذكّراً بأنه حين ترك روتشيلد، "تخلى عن كلّ ما لديه" من أجل أن ينتقل إلى الإيليزيه، تماماً كمثل اليوم الذي ترك فيه الإيليزيه في حزيران/ يونيو ٢٠١٤ من دون أن يطلب شيئاً، قبل أن يعيّن في ٢٦ آب/ أغسطس وزيراً للاقتصاد.

الدجاجة أوّلاً أم البيضة؟ على أيّ حال، ما هو أكيد أنّ حفنةً من رموز النظام الفرنسي الشهير على الطريقة الفرنسية أشخاص مؤثرون وممثلون كتومون عن طبقة المثقفين الفرنسيين، وكان لهم دور حاسم في الارتقاء الصاروخي لهذا الشاب.

---

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٢٨ شباط/ فبراير ٢٠١٧.

٨

مشاحنات عائلية، ابن النظام
جان – بيار، جاك، ألان ودافيد

كان لإيمانويل ماكرون عرّابون عديدون في حقبته المصرفية كما السياسية، لكنّ ثلاثةً منهم يستحقون تسليط الضوء عليهم وعلى الطريقة التي التقاهم بها، فبهرهم، وأحياناً تركهم على قارعة الطريق. لقاءات تثقيفية بقدر ما هي عاطفية و... مقزّزة.

آه! جان – بيار الفائق الوصف، جان – بيار جوييه الودود. يمضي كفّارته في قصره في الإيليزيه. كبير المقرّبين عاش نهاية عهد صديقه فرنسوا، كما بدايته، في ما يشبه الإقامة في زنزانة خاضعة للمراقبة. "ذنبه" في تلك الحقبة، عام ٢٠١٢، أنه قبل منصب الأمين العام للدولة للشؤون الأوروبية في عهد نيكولا ساركوزي، فبات من الواجب حجزه في حجرة عازلة، صندوق الودائع والأمانات (CDC)، لتطهيره وإزالة تلوثه. لكنه كان قد

توصل إلى تعيين مهره إيمانويل ماكرون أميناً عاماً مساعداً في الايليزيه، قبل أن يعيَّن نفسه أميناً عاماً بعد ذلك بعامين، في نيسان/ أبريل ٢٠١٤.

كثير الثرثرة، جان - بيار، محبوب جدّاً وصريح جدّاً. وفي الوقت نفسه مرهَق بمؤامرات الجمهورية شتى، وبجيمع الحيل الرخيصة للعاصمة الكبرى... شديد السذاجة والبراءة أيضاً. جان - بيار الفطن، الحساس، العاطفي، المسيحي المرتضي بحاله، الذي واكب بألم موضوع زواج المثليين. كثير الثرثرة أيضاً، هذا الخريج القديم في دفعة فولتير الشهيرة (دفعة هولاند، روايال وفيلبان...) الذي ضُبط متورّطاً في تسريبات إلى صحافيّين من صحيفة *Le Monde* عن غداء مع فرنسوا فيون الذي طلب منه الإسراع في الإجراءات القضائية ضدّ نيكولا ساركوزي... كلمات تسببت له في الوضع مجدّداً داخل الحجر "ممنوعاً" من التواصل مع الصحافة، وألغي هاتفه النقال.

عيّنة هو جان - بيار جوييه هذا. من طبيعة طيبة، يهوى كرة القدم والأغنية الفرنسية. شخصيته أنيسة. دخل إلى "المعهد الوطني للإدارة" بعد مروره في Sciences–Po ومفتشية المال، وتولى وظائف مرموقة (إدارة المالية، أحد المراكز المهمة في الجمهورية، وإدارة حاكمية الأسواق المالية (AMF)، ومن بعدها صندوق الودائع والأمانات). أحبّ الأشياء إليه العشاء مع الأصدقاء

المختارين وزوجته بريجيت التي تجمع ما بين الجدارة والصرامة، وكانت رئيسة شركة عطور Annick Goutal ومديرتها العامة، وأضحت مديرة التخطيط الستراتيجي في Sciences–Po. ذات طبيعة سخية ومن عائلة معروفة، هي عائلة تايتنغر، وهي نسيبة كريستوف دو مارجيري[1].

هذا ما يفسّر وجود جان - بيار، الصديق المفضل لرئيس الجمهورية الذي كان يريد التحكم بحركة المال، في الصف الأمامي في ٢٧ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٤، في كنيسة سان - سولبيس، أثناء مراسم تشييع الرئيس السابق لـ"توتال" ومديرها العام، حيث ألقى خطبة مؤثرة نوّه فيها بمآثر هذا المدير الاستثنائي، هذا النّهم الضاحك الذي لا يعرف اللفّ والدوران، الرافع الكلفة مع محدثه، المتقلّب، الناظر بتسلية ودون أوهام إلى وجوه بعض المتزلفين الذين يبالغون في التودّد لذوي السلطة. هذا الجمع الحاضر كان سيثير ضحك كريستوف دو مارجيري. أليس مزيجاً حقيقيّاً من صفوة وجوه السلطة، من سياسيين، واقتصاديين، ويمينيين ويساريين؟ أشخاص يتخاصمون أحياناً في العلن، لكنهم يتباسطون في الحديث حين يلتقون في عشاءات

[1] رئيس "توتال" ومديرها العام بين عامي ٢٠١٠ و٢٠١٤، وفي الأخير كان تاريخ وفاته في حادث تحطم طائرة في العشرين من تشرين الأول من ذلك العام. (المترجم)

نادي Siècle[1] أو سهرات دار الأوبرا. مارتان بويغ، سيرج وينبرغ، كلارا غايمار، ألكسندر بومبار، أرنو مونتيبورغ، رشيدة داتي، يامينا بن غويجي... شخصيات يعرفها جوييه جميعاً، وإليها مدّ يد المساعدة في لحظةٍ ما. حاضرٌ دوماً، وفي موقعه من المكمن، يترصّد المواهب.

حين التقيناه ذلك اليوم من كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧، بعد نشر مجلة *Le Canard enchaîné* مقالة صبّت الزيت على النار في معسكر فيون ("بينيلوب هي عامل نجاح بالنسبة إلى فيون")، بدا جوييه بمزاج ممازح. "ثمة أحداث راهنة، جنون ما يحدث في هذه الأثناء"، قالها بمزاج النهم[2]. يستقبلنا على الغداء في الطبقة الأولى من القصر الرئاسي، في الصالون الصغير الكئيب الذي تتصدره صورة لفرنسوا هولاند وبعض الزينة البائسة من الزهور. وفي لائحة الطعام: سمك الإسقمري بالمكوّنات العطرية، اللط النهري المشوي، هريسة الخضار وأصابع الكاراميل.

هو يعرف إيمانويل جيداً، وجيّداً جدّاً، فلقد كان على الدوام، ما عدا مدة صغيرة من البرودة بعد استقالته من الحكومة، واحداً من داعميه المتحمسين. لقد دفع به إلى جانب فرنسوا هولاند،

١ ناد فرنسي أسس غداة التحرير عام ١٩٤٤ ويضم رجال النخبة من موظفين كبار ورؤساء شركات وسياسيين من اليمين واليسار ورجال صحافة وإعلام. (المترجم)

٢ من مقابلة مع المؤلفة في ١٦ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

وشجّع صديقه الرئيس لضمّه إلى مجموعة العاملين لحسابه. قدّمه إلى كثيرين، وتحديداً أثناء تلك العشاءات الشهيرة البسيطة، في شقته في الدائرة ١٦ في باريس قريباً من سان - جان - دو - باسي، حيث مرّ فرنسوا هولاند وفاليري، ثمّ هولاند وجولي، وأيضاً سيرج وينبرغ، شارل - هنري فيليبي، وألكسندر بومبار، ومارتان هيرش، وآخرون كثيرون.

"إيمانويل"، جوييه اكتشفه منذ بعض الوقت، والوزير السابق للاقتصاد يدين له بقدر ما يدين لجاك أتالي بترقيته السريعة.

تعرّف جوييه إلى ماكرون الشاب حين كان، أي جوييه، على رأس الإدارة القوية، رئيس جهاز التفتيش المالي العام، قلب مُفاعل السلطة، وجسم نخبة الأمة الذي شهد من بين ما شهد عبور فاليري جيسكار ديستان، وآلان جوبيه، وجان - ماري مسييه، وهنري دو كاستري رئيس AXA[١] ومديرها العام السابق الذي التحق بفرق فرنسوا فيون. تميّز يساوي أكثر من وسام وهو فوق الاعتبارات السياسية. أن تكون أو أن لا تكون، هي المسألة بالنسبة إلى هؤلاء الموظفين النخبويين البعيدين جدّاً، على أي حال، عن التطلعات الأدبية والفلسفية لماكرون الشاب الذي كان يحلم بأن يصبح كاتباً.

ويتذكر جان - بيار جوييه أنه "كان هناك ثلاثة أو أربعة أشخاص

١ مجموعة فرنسية عالمية متخصصة بقطاع التأمين. (المترجم)

لفتوا انتباهي، ووجدتهم لامعين للغاية: ألكسندر بومبار، مارغريت بيرار، سيباستيان بروتو وإيمانويل ماكرون". شبان وسيمون ذوو عقول نيّرة، كرّسوا ساعاتٍ وساعاتٍ من العمل من أجل تحقيق طموحاتهم سالكين جميعاً النهج التقليدي في فرنسا، فخدموا في الوظيفة العامة والوزارات من أجل تفعيل مسيرتهم في القطاع الخاص.

ألكسندر بومبار (دفعة سيرانو دو برجيراك عام ١٩٩٩)، أصبح مفتشاً مالياً عام ٢٠٠٢، فكان بذلك مستشاراً تقنياً لدى وزير الشؤون الاجتماعية ووزير العمل فرنسوا فيون، قبل أن ينضم إلى + Canal عام ٢٠٠٤، ويصبح رئيس Europe 1 ومديرها العام عام ٢٠٠٨، ويتولى رئاسة Fnac[١] عام ٢٠١١.

مارغريت بيرار، المصنفة أولى في ترتيب ENA من دفعة سيدار سنغور، والمتخرجة بدورها في برنستون، أصبحت مستشارة في الإيليزيه في عهد ساركوزي (بين عامي ٢٠٠٧ و٢٠١٠)، ثم مديرة مكتب وزير العمل للاستخدام والحماية الاجتماعية حتى عام ٢٠١٢، قبل أن تصبح المديرة العامة لمجموعة BPCE[٢].

أما سيباستيان بروتو، الذي أطلق عليه بعضهم لقب "ماكرون

١ سلسلة مخازن فرنسية متخصصة بتوزيع مواد ثقافية كالموسيقا والأدب والسينما وألعاب الفيديو والإلكترونيات. (المترجم)

٢ مجموعة تضم المصرف الشعبي والمصرف الفيديرالي وصندوق المدخرات وشركات متصلة بالمجموعتين المصرفيتين وفروعهما. (المترجم)

اليمين"، فحلّ أوّلاً في امتحان الدخول إلى ENA وتخرج فيها ثانياً (هو بدوره من دفعة سيدار سنغور)، وعمل على البرنامج الاقتصادي لساركوزي عامَي ٢٠٠٧ و٢٠١٢، وكان مدير مكتب إيريك ويرت وفاليري بيكريس في وزارة المال. كما دخل مفوضاً أيضاً إلى مصرف روتشيلد وشركاه، حيث التقى إيمانويل ماكرون. بعد هزيمة نيكولا ساركوزي عام ٢٠١٢، عاد إلى روتشيلد بصفة شريك مفوّض.

إيمانويل ماكرون، "رجل الأدب"، المعجب ببول ريكور، لم يترك لطخة أو يحدث إفساداً في هذا الوسط نظراً إلى "شخصيته الودودة، الأصيلة، المنطلقة دوماً بسرعة، المفكّرة، مع ذائقة متنوّعة جدّاً"، وفق جوييه، هذا من دون الحديث عن "تعاطفه" الشهير مع الآخرين.

جان - بيار جوييه، بصفته رئيس جهاز التفتيش، يوزع تقارير على المفتشين الشباب الذين يعمل معهم بطريقة لصيقة ("تتلقى تقاريرهم، تصحّحها، وأحب أن يقصدوك ليتزوّدوا بنصائحك من أجل استكمال مسيرتهم"). بذلك، تعرّف إلى إيمانويل ماكرون، الذي تفاهم معه سريعاً. اختاره مكلّفاً إياه مهمة. "مركز مخصّص دائماً لشابٍّ يعمل مع رئيسه بطريقة لصيقة". كان ذلك عام ٢٠٠٧. وكان التفاهم بين الرجلين في أفضل أحواله، إذ إنّ إيمانويل دعا المدير السابق المساعد في وزارة ليونيل جوسبان

لحضور عرسه (لم يتمكن من تلبية الدعوة). كانا يتحدثان في السياسة والأدب، ويتشاركان الأذواق في الأغاني. فكلاهما من هواة الأغنية الفرنسية القديمة، وقد وضع جوييه كتاباً بعنوان *Nous les avons tant aimés*[1]، رسم فيه بالأغنية بورتريهات جيل من السياسيين، هو جيله هو. ذوق ماكرون في هذا المجال هو ذوق قديم، فهو يحب ليو فيري (شأنه شأن هولاند) وبراسنز وكلود فرنسوا. ويحدث أحياناً أثناء بعض المؤتمرات حول التفتيش أن يردّدا معاً بعض مقاطع من الأغنيات. "لم نلتفت إلى هذا الجانب لديه كما يجب، يقول جوييه، فإيمانويل يحب الحياة، يأكل جيداً، يشرب جيداً". وبتلميح خفيّ، هو ليس مثل مصرفيّ آخر، وضع قبله كتاباً بعنوان *Révolutions*[2] وجرّب أيضاً حظه في السياسة، اسمه ماتيو بيغاس، مدير لازار فرنسا، الذي يراقب قوامه بدقة، فيما يستمع إلى الروك البديل[3]... "كان إيمانويل يفعل الأشياء الجديّة من دون أن يتصرّف بجديّة"، كما كان يقول.

ويصدف أحياناً أن يجتمع الرجلان على كأس ويسكي، أو في ملعب كرة قدم، ولم يكن إيمانويل قد أصبح مرشحاً للرئاسة، "فقد كان يلعب الكرة بكل اندفاع، وكذلك التنس. إنه لاعب

١ **أحببناهم كثيراً**، روبير لافون، ٢٠١٠. (المترجم)
٢ **ثورات**، بلون، ٢٠١٢. (المترجم)
٣ نوع من موسيقا الروك، انبثق مما عرف بالأندرغراوند في ثمانينيات القرن الماضي، وعرف انتشاراً واسعاً ابتداء من الثمانينيات. (المترجم)

مكافح"، كما يقول جان - بيار جوييه. باختصار، نسج الرجلان روابط وثيقة. حين فقد جان - بيار والدته، وكان ماكرون قد فجع بدوره بموت جدته في المدة نفسها تقريباً، أرسل له "كتاباً رائعاً لرولان بارت عن الذكرى والموت".

ويتباحث الرجلان أيضاً في شؤون الدين، وتجمعهما شبكة غير مرئيّة تضمّ الذين ارتادوا المدارس الخاصة الكاثوليكية. "جانبٌ آخر كان يجمع بيننا، هو الجانب المسيحي، ومع زوجته أيضاً"، يقول جوييه. العائلة التي توسعت بانضمام الزوجين جوييه - تايتنغر إليها، أليس بعض أفرادها تلاميذ فرانكلن حيث تدرّس بريجيت ماكرون، وتتمتع بشعبية كبيرة؟

السياسة؟ يتحدثان فيها، بالطبع، لكنّ المدير السابق للخزينة، حين كان لا يزال في التفتيش، لم يلاحظ الطموح الجامح لدى محميّه، أو هو كان بارعاً في ستره. عام ٢٠٠٩، فيما كان ماكرون الشاب أكثر قرباً من لوران فابيوس ويفكّر في الترشّح في هوت - بيرينيه (مقاطعة جدّته)، لفت جوييه انتباهه حين التقاه في عشاء لدى سيرج وينبرغ: "قلت له: فابيوس لن يكون مرشّحاً. أنت تعلم، هناك شخص عليك أن توليه اهتمامك لأنّ لديه حظوظاً، إنه فرنسوا هولاند".

جان - بيار المستعد دوماً لتقديم الخدمات وتسهيل المهمات، تحدّث بأمره إلى فرنسوا، ودعاه إلى عشاءٍ لديه حضره ماكرون

وزوجته بريجيت، كما حضره، إن سعفت جوييه الذاكرة، ألكسندر بومبار وشارل - هنري فيليبي. وكان فرنسوا هولاند وإيمانويل ماكرون قد التقيا ذات مرة لدى جاك أتالي، أثناء عشاءٍ في منزل المستشار السابق لفرنسوا ميتران، في نوبي، عام ٢٠٠٨. لكنّ ماكرون لم يحتلّ موقعه لدى فرنسوا هولاند إلا ابتداءً من تلك المدة، عام ٢٠١٠، في إطار حملة "دورة اليسار الأولى"[١]، وبمسعى من جان - بيار جوييه. وأنشأ ماكرون فريقاً صغيراً من الاقتصاديين بدؤوا يعقدون اجتماعات دورية في مقهى La Rotonde[٢]، ومن بينهم: فيليب أغيون، إيلي كوهين، جيلبير سيت وساندرين دوشان وجان بيساني - فيري، الذي انضمّ لاحقاً إلى حركة "إلى الأمام!".

وكما ذكر مارك اندولد في *Monsieur Macron L'Ambigu*، انضمّ مفتش المال الشاب، الذي أصبح مصرفيّاً لدى روتشيلد، إلى الفريق الذي سيتولى طمأنة المستثمرين العالميين بعد خطاب فرنسوا هولاند في بورجيه، يوم ٢٢ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٢، الذي رأى فيه المرشح الاشتراكي أنّ المال "عدوّه الحقيقي". وانتقل إلى لندن ليجتمع برجال المال ويشرح لهم أن ضريبة ٧٥% المعلنة على العائدات التي تتجاوز المليون يورو "مجازفة

١ الانتخابات التي اتفق كل من الحزب الاشتراكي والحزب الراديكالي اليساري على خوضها بمرشح رئاسي مشترك عام ٢٠١٢. (المترجم)
٢ أحد أشهر المقاهي في مونبارناس حيث يجتمع رجال الأدب والفن والفكر. (المترجم)

من وجهة نظر اقتصادية"، ويمكنها أن تصبح "غير مؤلمة" بفضل بعض المنافذ السوقية التخصصية.

كلّ هذا كان قبل أن يحقق فرنسوا هولاند انتصاره عام ٢٠١٢.

غداة اليوم التالي للانتخابات، قصد جوييه الرئيس المنتخب حديثاً في شقته في الدائرة الخامسة عشرة، شارع كوشي، حيث يسكن مع فاليري تريورفيلار، لمناقشة اللائحة التنظيمية للإيليزيه مع الأمين العام المستقبلي بيار – رينيه لوما. وبالطبع، قال جوييه لـ"فرنسوا": "بالنسبة إلى الاقتصاد، عليك حتماً بإيمانويل. فوافق فرنسوا". هكذا دخل الشاب ماكرون ذو الابتسامة الملائكية إلى دائرة السلطة. بعد ذلك، ناضل جوييه مع مانويل فالس من أجل تعيين ماكرون وزيراً للموازنة في حكومة فالس الأولى، لكن هولاند رفض، ثم، لتعيينه وزيراً للاقتصاد في حكومة فالس الثانية إثر رحيل أرنو مونتبورغ. وما علينا سوى تذكر ابتسامة الأمين العام للإيليزيه عند مدخل القصر الرئاسي وهو يقرأ اسم خلفه في هذه الوظيفة الوشيكة لمعرفته الصادقة بسروره بهذا التعيين.

بالتأكيد، حين يستعيد جوييه اليوم ذكرى ذلك الدعم وتيسير ظروف النجاح، سيشعر، ولا شك، بغصة في القلب. لكنّ جان – بيار عاطفيّ ولطيف. بعد تباعدٍ بين الرجلين فرضه رحيل حكومة إيمانويل ماكرون، في آب/ أغسطس ٢٠١٦، أعاد جان – بيار وصل العلاقة بمحميّه. وبينما ابنته، التي كانت حتى تلك اللحظة

تحتقر السياسة، لبّت دعوة إلى لقاء مع ماكرون عادت منه مقتنعة (قالت له: "أبي، لقد بكيت")، قصد وزوجته منزل إيمانويل وبريجيت في توكيه ليمضيا الليل عندهما، في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٦، وقد كانا مدعوَّين إلى عرس في تلك الأرجاء، بعد شهرٍ من إعلان الوزير السابق ترشّحه للانتخابات الرئاسية.

"أعتقد أننا كنا صديقين"، قال جان - بيار جوييه، قبل أن يستدرك: "أعتقد أننا صديقان". لكن حين قال له بعضهم: "جان - بيار، تصرّفت تصرّف المبتدئين!"، لم يحتجّ. ابتسم قليلاً بحزن. ولأنّ جان - بيار جوييه عاطفي جدّاً، ، فهم لن يعيدوا الكرّة.

جاك أتالي، العرّاب الآخر المخدوع قليلاً، والذي يعرّف عن نفسه بدوره كـ"أخ أكبر" جديرٍ بأن يعامل من هو أصغر منه بفظاظة أحياناً، لا يعبِّر عن انعدام الحبِّ والموقف المتحفظ حيال إيمانويل ماكرون بالطريقة نفسها.

"إيمانويل ماكرون؟ أنا الذي اكتشفته، وهو صنيعتي بالكامل، بدءاً من اللحظة التي عيّنته فيها مقرِّراً لإحدى اللجان حيث احتشدت وجوه معروفة في باريس والعالم أجمع، ولم أسعَ إلى إبقائه في الظلّ، فكانت فرصته لتعريف الجميع بنفسه. إنها الحقيقة الموضوعية"، قال عن هذا الابن الشرعي للنظام الذي "ينتج أيضاً نخبة شرعية"[١] في نظره.

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٢٦ شباط/ فبراير ٢٠١٧.

قال جاك أتالي هذا دفعة واحدة، وبدفقٍ من الكلمات التي تدافعت كأنها تعاني مشقةً لتجاري سرعة أفكاره، وكأن هذا الرجل الذي يشكل "مساحة تقاطع" يجد صعوبة في فرض "تشابكاته الذهنية التي لا وجود لها لدى الجميع"، مستعيداً صيغة إيمانويل ماكرون، الابن الطيب لطبيب الأعصاب، التي تنطبق عليه. نعم، هذا واضح، جاك أتالي، ابن الثانية والسبعين، ومؤلف كتاب *Histoires du temps*[١]، وهو الذي حفلت حياته بالتجارب الغنية، يعرف أكثر من سواه كم أنّ الوقت ثمين، وبخاصة وقته. هو هكذا أتالي، بطبعه الخشن، يريد أن يمضي مباشرةً إلى الجوهر: right to the point. ويحبّ أن نكون على إدراكٍ تامّ بأنه يخاطب، ومن دون أيّ كلفة، جبل الأولمب[٢] وممثليه.

لكن، حتى لو أطلق كلماتٍ قاسية في حقّ مهره، آخذاً عليه "فراغه" ونرجسيته أو قصرَ نظرته إلى العالم، أو ما يسمّى Weltanschauung[٣] وفق قوله، فهو يحرص على إخراج الأشياء إلى دائرة الوضوح: ماكرون صنيعته "هو"، ودونه ما كان ليصل إلى حيث هو في هذا الوقت القصير، مهما تكن كفاءاته، وهي كفاءات كان أوّل من كشف عنها، كما يعيد ويكرّر. ألم يعلن، حتى قبل أن يكون ماكرون وزيراً، أنّ لديه خامة رئيسٍ للجمهورية؟

---

١ **حكايات الزمن**، فايار، ١٩٨٢. (المترجم)
٢ الجبل الأعلى في اليونان، وهو موطن الآلهة في الميتولوجيا اليونانية. (المترجم)
٣ كلمة ألمانية تعني "مفهوم العالم"، وهي مؤلّفة من المصطلحين Welt وتعني العالم، وAnschauung وتعني: نظرة، رأي، تصوّر، مفهوم...(المترجم)

ويعلق متجاوزاً تواضعه: "بذلك سيكون هو الرابع. فرنسوا ميتران لم أخترعه لكنني كنت مدير مكتبه عام ١٩٧٤، سيغولين كانت مساعدتي، فرنسوا (هولاند) كان مساعدي وكذلك مانويل... هذا ممتع ما فيه الكفاية". قبل أن يستغرق في ضحكة صغيرة متقطعة وهو يحتسي فنجان الشاي الأخضر في قاعة اجتماع في مكاتبه القائمة في جادة ميسّين، على بعد أمتار من مقرّات مصرف روتشيلد...

هذا صحيح: لجنة أتالي لتحرير التنمية - التي زلّ لسان أحد الصحافيين مرّة فقالها "لجنة ماكرون" لسكريتيرة أتالي - فتحت الباب واسعاً أمام الشاب الذي لم يكن سوى مساعد المقرّر (كانت جوسلين دو كلوزاد هي المقرّر)، فسرّعت مساره المهنيّ، وما في ذلك شكّ.

هذه اللجنة استعان بها نيكولا ساركوزي، في آب/ أغسطس ٢٠٠٧ في خضم حملته الانتخابية، وتتألف من أعضاء في اليمين واليسار، فكأنها كانت محاولة أولى لما ستكون عليه لاحقاً حركة "إلى الأمام!": تجمّعٌ لتقدميين ذوي إرادة طيبة ستلهم بعض مقترحاتهم المرشح ماكرون. وبعد انتقال جان - بيار جوييه إلى حكومة فيون بصفة سكريتير دولة للشؤون الأوروبية، تولّت اللجنة مهمات المفتشية العامة للأموال بالتكليف في تلك الحقبة، وقد بذل فيها ماكرون الشاب جميع ما أوتي من دقّة ومهارة وقدرة على

التحليل، ما أتاح له تكوين شبكة علاقات ثمينة، إذ تعرّف فيها إلى سيرج وينبرغ، رئيس Sanofi، وإلى صديقه محامي الأعمال الشهير جان – ميشال داروا، اللذين سيصبحان من المقرّبين. كما تعرف إلى جان كاسبار، الأمين العام السابق لـ"الكونفديرالية الفرنسية لديموقراطية العمل" (CFDT)، كما تعرّف، وفق مقالة لإيليسا فريسنيه وناتالي سيلبير في مجلة *Les Échos Week–end* (عدد ٢٧ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧ بعنوان "ماكرون، الخطوة الأولى") إلى كلود بيبيار (AXA)، وآن لوفرجون التي كانت في تلك المرحلة رئيسة Areva[١]، وإلى ستيفان بوجناح رئيس Euronext[٢] ومديرها العام الذي عرّفه إلى كريستيان دارنيا المكلف جمع الأموال للمرشح أثناء الحملة الرئاسية. "كل الذين تعرف إليهم عبري كانوا في اللجنة"، يقول جاك أتالي، وبالتحديد بيتر برابيك رئيس Nestlé الذي سيسهّل لماكرون بعد بضعة أشهر، وكان قد انضمّ إلى مصرف روتشيلد، عقد اتفاقٍ ضخم حول تغذية الأطفال. هو ليس مغفّلاً، كما صرّح لصحيفة *Échos*، فإيمانويل ماكرون "كان ينظر في عينيك كأنّ حياته بكاملها متوقّفة على هدفٍ وحيد هو مبادلتك الحديث".

رغم مظهره القاسي والصارم، بدا جاك أتالي مأخوذاً بهذا

١ مؤسسة فرنسية متعددة الجنسيات تعنى بشؤون الطاقة وخصوصاً النووية. (المترجم)
٢ مشغّل الأسواق المالية الرئيسية في قطاع اليورو. (المترجم)

المتخرّج في "المعهد الوطني للإدارة". ومع ذلك، يبدو نادماً لكونه أخرج نفسه قليلاً من دائرة الاهتمام، ولكونه كان الوجه المموَّه في صورة العائلة، كي لا يقال المخدوع. لذا، أعاد وضع الأمور في نصابها: "لقد لعب إيمانويل ماكرون دوراً استثنائياً في الكفاءة وإدارة الفرق والتنسيق، لكنه دورٌ تقنيّ". لكن، ألم يكن يشعر ببروز أنياب صغيرة لذلك الشاب الطموح؟، "إطلاقاً"، يؤكد أتالي الذي يعود إلى ترديد لازمته: "أنا الذي ضممته إلى اللجنة، أنا الذي عرّفته إلى الآخرين، إلى فرنسوا (هولاند)، هو لم يطلب مني ذلك. وألححتُ كثيراً على فرنسوا لتعيينه وزيراً، وهو ما كان يرفضه".

مهما بلغت قسوته حين خيّب إيمانويل ماكرون ظنه، فإنّ جاك أتالي لم يتخلّ عن تكرار انطباعاته الأولى التي لم تنضب، وامتداح "المرونة، والكفاءة القصوى، والوضوح الكبير، والثقة بالأحكام، والإرادة الصلبة في العمل، والمضيّ إلى الملموس"، وهو ما تحلّى به عام ٢٠٠٧ المفتش المالي الشاب وقد أصبح صديقه. يتذكر أنه عمل معه ليالي بكاملها على موضوع أثير على قلبه: إعداد المتعطلين عن العمل. "نادراً ما عملت مع شخص بمثل هذه الكفاءة حريصٍ على ما يفعله ومن دون تزلّف". نسأله عن هذه النرجسية التي تحدث عنها بنفسه، والتي نلاحظها لدى بعض القادة والحكّام، فيجيب: "نرجسية فرنسوا ميتران كانت مستندة

إلى ثقافة واسعة، وإلى مشروع اجتماعيّ، ونظرة إلى العالم. أما هذه النرجسية، فكانت مدعاة للسخرية لدى البقية. حين تكون النرجسية الأساس وليست شأناً جانبيّاً، حين تصبح صورة *Paris Match* أهمّ من المشروع، هنا تكمن المشكلة الأساسية. أنا أنتظر المشروع، قلت له ذلك مراتٍ عدة".

وعن الانطباع بأنّ ماكرون يتوهّم نفسه صاحب رسالة وينتظره مصيرٌ يتخطّاه، هنا أيضاً، يتخلّى "أخوه الأكبر" عن دماثته ليعلّق: "مصيرٌ في انتظاره؟ نعم، هذا جليّ. كمثل الولد المدلّل بطبعه المتطرف، الذي يمكنه القول: كلّ شيءٍ ملكي، إلى درجة أنه لا يفعل شيئاً من أجل الحصول عليه. ومرةً أخرى، أنا الذي ذهبت في طلبه. وصحيح ما قلته له مباشرةً عن أنّه يملك خامة رئيس". وبماذا أجاب؟ "لا أدري، إنه شديد التواضع معي، ويحترمني، ولا يتجاوز حدود التهذيب حتى حين أوبّخه. لم يتلفّظ مرةً بكلمة سوءٍ بحقي".

في الثالوث المقدس لممثلي "النظام"، يشكّل ألان مينك حالة بذاتها. هو الراقص البهلوانيّ الصامت الذي تضحكه الكوميديا البشرية بقدر ما يحياها. شهد مكتبه في جادة جورج الخامس مرور أجيال من أصحاب الطموح، من قدامى "المعهد الوطني للإدارة"، ومن معجبين بذواتهم، ومن أسياد كبار. لقد شارك في تأسيس النظام الشهير، وجعل نفسه جزءاً منه وحتى تجسيداً له.

"ألان مينك، هو النظام"، يؤكد بعضهم بابتسامة متكلفة، منذ عينه الشيراكيّون عام ١٩٩٥ واحداً من القادة اللامعين للفكر الأوحد[١]. ربما، لكن هذا الولد الخلاسيّ[٢]، الذي لم يتنكّر يوماً لأصوله، هو قبل أيّ شيء ابن "الجَداروقراطية"[٣] الجمهورية، والذي تَدافع مع الآخرين من أجل أن يصل إلى حيث هو، ويصبح أحد ملوك باريس الذي يحرك الخيوط جميعاً. المتمتع بثقافة حقيقية وبذكاء تحليلي نفّاذ... واللذَين، وفق ألسنة السوء، لا يصنعان رجل أعمال بأي حالٍ.

ذاك الذي كان يستقبل منذ سنوات في عيد ميلاده أهم الوجوه الباريسية من محامين وخريجي "المعهد الوطني للإدارة" ونجوم أعمال واعدين، في نوع من عرض القوة، بدأ يرى وهجه يبهت قليلاً، وبات من العادي القول إن المرشح للرئاسة الذي يدعمه مينك هو الذي يخسر عادةً! مزحة شاعت منذ اختار عام ١٩٩٥ ادوار بالادور بدلاً من جاك شيراك عقاباً له على خروجه من حلقة العقل[٤] وفق قوله. لم يكن مينك مخطئاً، لكنّ بالادور خسر. بعد

١ نزعة اقتصادية مغلقة بطرح أيديولوجي، تجلت خصوصاً بعد سقوط جدار برلين وانهيار الأنظمة الشيوعية، وهدفها تأمين المصالح لمجموع القوى الاقتصادية وخاصة الرأسمال العالمي. وفي هذا الإطار، يقول ألان مينك: "الرأسمالية لا يمكن أن تنهار لأنها الحال الطبيعية للمجتمع. الديموقراطية ليست الحال الطبيعية للمجتمع، أما السوق، فبلى". (المترجم)

٢ من أبوين بولونيين يهوديين. (المترجم)

٣ la méritocratie نظام فيه الجدارة وحدها ترتقي بصاحبها. (المترجم)

٤ مجموعة من المفكرين وأهل الاختصاص يجتمعون حول قائد سياسي أو حزب سياسي للتداول في قضايا عامة في السياسة أو الاقتصاد خصوصاً. (المترجم)

ذلك بسنوات، أتاح له انتصار نيكولا ساركوزي استعادة عافيته، لكنه ابتعد قبل أن يعود ويخطئ مرّةً جديدة بوضع آماله كلّها في ألان جوبيه، الذي أصبح بعد عشرين عاماً البطل الجديد لحلقة العقل.

إذن، هو في ذلك الشهر، كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧، منزعج قليلاً ومنشغل البال، وفي الوقت نفسه يتلهّى في موقف غير مسبوق بإعادة توزيع الأوراق السياسية التي لم يكن أحد يتوقعها. عيناه الصغيرتان المستديرتان الشبيهتان بكلّتين تتغضّنان قليلاً. تردّد زمناً بين إيمانويل ماكرون وفرنسوا فيون الآن، وقد أصبح بطله جوبيه خارج اللعبة. وتفترّ ابتسامته عن أسنانه الصغيرة، وتبرق عيناه. فهو لا يجد مانعاً من انتقاد أولئك الذين ساعدهم على العوم في المياه العكرة للرأسمالية الفرنسية. ولأن ذلك أقوى منه، فهو يبذل نفسه من أجل الكلمة الملائمة التي يطلبها بإلحاح، لأنه يريد دوماً أن يكون موجوداً في اللحظات التأسيسية، وعلى بيّنة مما يجهّز في الغرف الجانبية للسلطة في مطابخ الجمهورية. إذن، فليكن ماكرون... هو يعرفه بالطبع، حتى لو أنّ ماكرون يرى في مينك "رجلاً ذكيّاً تربطه به علاقة صداقة لا علاقة سياسية - لست أكيداً أنه رجل أحكام"، ما يعني أنه يريد أن يبقى على تحفّظه حياله كما يبدو.

التقاه مينك للمرة الأولى من بضع سنوات، حين استقبله في

إطار الزيارة التقليدية من مفتش مالي شاب لمفتشٍ قديم للمال كلاسيكي. ونال حظوة في عينيه إذ اعتبره المفتش الكامل للمال، كمثل الحظوة التي نالها في نظر الكاتب الشاب. "مفتش المالية الشاب يرى كاستري[1] للقطاع الخاص، جوييه للدولة وأنا للباقي..." يقول. وامتلأ إعجاباً بماكرون.

وقابل مينك عديدين سواه، لكن تلك الزيارة الأولى ظلت منطبعة في ذاكرته، لأنه كان يطرح دوماً على من يلتقيهم السؤال نفسه كما لو كان مدخلاً للحديث:

"ما الذي ستصير عليه بعد ثلاثين عاماً؟"، هنا جاءه الجواب سريعاً: "سأكون رئيساً للجمهورية".

"تلك كانت الكلمات الأولى التي سمعتها من ذلك الفتى. شخص آخر قال كلاماً مشابهاً، هو ماتيو بيغاس. وكنت قد قلت له: مع جواب كهذا...".

إضافة إلى هذه الطريقة في خلط الأوراق من دون إبطاء، يتذكر مينك أنّ ماكرون كان لديه شيءٌ مختلف: مزيج هائل من السرعة والسحر، من دون أن ننسى، قالها مبتسماً، براعته في التعامل "مع العجائز الصغار. هو موهوب مع العجائز الصغار. لا بدّ أنّ جان - ميشال (داروا) قال الشيء نفسه. إنه يتقن التصرّف معهم".

يتذكر ألان مينك، الذي يقول إنه نصح ماكرون، كما وينبرغ

١ هنري دو كاستري، رجل أعمال فرنسي، كان رئيس مجموعة Axa للضمان ومديرها العام ما بين عامَي ٢٠٠٠ و٢٠١٦. (المترجم)

وداروا، بالانضمام إلى روتشيلد، أنّ حديثاً معه خدعه. حين كان بعضهم يثيرون موضوع ترشحه عن مرسيليا، دسّ له مينك الفكرة أثناء غداء جمعهما، فأجابه ماكرون: "أنت مخطئ، فالأمور لم تعد تجري هكذا. ما تقترحه عليّ هو مسار كلاسيكي".

يا لها من إجابة من شخص اختار حتى تلك اللحظة مساراً لتميّزه من أكثر المسارات كلاسيكية، أو حتى تقليديّة، عبر المرور بمصرف الأعمال، المحطة الأخيرة لذوي الطموح.

ما لم تكن متنبّهاً فقد تمرّ به من دون أن يلفت نظرك. مقرّ مصرف روتشيلد وشركائه يقع في شارع ميسين. في منعطفٍ من تلك الجادة الهادئة في الدائرة الثامنة التي تقع على بعد أمتار من حديقة مونسو، وغير بعيد من الإيليزيه. روتشيلد... لكن ما من يافطة تدلّ عليه... توقعنا أن ندخل إلى مكاتب مبطّنة، مفروشة بالمخمل الأحمر، ولوحات الأجداد معلقة على الجدران. توقعنا أن يطالعنا البذخ والسحر الخفي الجدير بأولئك الأثرياء، عشاق الفنون منذ عقود بل قرون. توقعنا ستيل روتشيلد... فإذا بنا في قاعة حديثة مستطيلة، مطليّة بالأبيض العاجي باردة عارية. في الواقع، يتجلّى ستيل روتشيلد الشهير في المبنى المقابل المنتمي إلى ثقافة أخرى، يقول بعضهم، وبابتسامة مكتومة، هي طريقة للإشارة إلى خطٍّ غير مرئيّ يفصل ما بين أبناء الأعمام الأعداء.

يشغل دافيد دو روتشيلد في باريس موقعاً مستقلّاً. الابن البكر

لغي وماري - ايلين يفرض احترامه، ليس فقط للطريقة التي عرف بها بعد تأميم المصرف عام ١٩٨١، وإعادة إنشاء مصرف أعمال بات مرجعاً هو مصرف لازار، لكن أيضاً لنوع الإشراف المعنوي الذي يمارسه على أجيالٍ من المصرفيين. روتشيلد يبقى مصرفاً خاصّاً مزج دوماً ما بين السياسة والأعمال. إنه المصرف العائلي الأخير الذي يرتبط اسمه بالأسطورة أكثر من كونه علامةً تجارية.

هو هدف عدد من التصوّرات التخيّليّة أيضاً، لأنه، تماماً كما منافسه الكبير مصرف لازار، مركزٌ للتأثير في قلب السلطة، سواء بتصدير ألمع عناصره إلى الجمهورية، أم باستقباله إياهم ما إن تنتهي مهمتهم أو يتمّ تعليقها عقب تحوّلاتٍ انتخابية. علاقات وثيقة متشابكة تجلّت أكثر ما تجلّت في دخول جورج بومبيدو إلى ماتينيون ثم انتخابه رئيساً للجمهورية. "بومبيدو من حظيرة روتشيلد ربح جائزة ماتينيون الكبرى"، عنونت بسخرية مجلة *Le Canard enchaîné* عام ١٩٦٢، احتفاءً بتعيينه رئيساً للوزراء في عهد الجنرال ديغول. مهرٌ، من بعد ما كان مديراً عاماً للمصرف ما بين عامَي ١٩٥٤ و١٩٥٨، ثم بين عامَي ١٩٥٩ و١٩٦٢، بقي حتى هذا الحين أفضل من صدّره هذا "البيت" بما أنه أصبح رئيساً للدولة.

إنّ تعيين إيمانويل ماكرون أميناً عاماً مساعداً للإيليزيه، وبعدها وزيراً، ثم منافساً في السباق إلى الرئاسة في ٢٠١٧، لم يكن أمراً

غير مرغوب فيه بالطبع بالنسبة إلى "البيت". إنه على أيّ حال إثبات على أنّ التقليد مستمر. تمرّ السنوات ويتبدل الرؤساء لكن سلطة مصرف الأعمال العريق، باستثناء المدة التي أعقبت عام ١٩٨١، لا تزال قائمة. لا شيء غير عاديّ ما دام "من الطبيعي أنّ المصرف الأفضل في باريس يجتذب الأفضل" كما يقول شريك مفوّض، وأن يمنح الدولة أيضاً أفضل عناصره اللامعين.

مع إيمانويل ماكرون، الذي شغل حين دخوله إلى الإيليزيه مكتب فرنسوا بيرول (مدير مكتب ساركوزي السابق في بيرسي الذي كان قد التحق بروتشيلد عام ٢٠٠٤ قبل أن ينتقل إلى الإيليزيه عام ٢٠٠٧) يستمرّ التقليد. ولو أعيد انتخاب نيكولا ساركوزي عام ٢٠١٢، فقد كان كلّ شيء يوحي بأنه كان سيضمّ إليه كلّاً من سيباستيان بروتو، وهو مفتش ماليّ آخر لامع مرّ في دوائر الوزارة، وإيريك ويرت وفاليري بيكريس، خريج "المعهد الوطني للإدارة" من دفعة سيدار سنغور الشهيرة.

"دافيد"، قليلون بين شخصيات باريس البارزة ينادونه باسمه الأول أو يرفعون الكلفة في ندائه. الرجل رائع، بالغ اللطف، لا يظهر كثيراً في السهرات العامة ولا الاحتفالات الخيرية. كما لا يحيي بدوره، كما كانت الحال مع والده غي، سهرات راقصة ضخمة، فالزمن تبدّل. يتكلم بصوت هادئ مع لكنة فريدة يعزوها بعضهم إلى نوع من التكبّر. ودود ومحبوب، يستقبل في صالونه،

حيث يدعو أيضاً إلى الغداء نخبة النخبة في CAC 40[١]، وكذلك رجال سياسة وأهل فكر. صحيح أنه ساحر، جذاب، و"جنتلمان" كما يحلو لبريجيت ماكرون أن تصفه، بشيءٍ من حنين، فهي التي كانت تفضل صراحةً ألا يغادر زوجها هذا الركن المريح، كما يؤكد مفوّض في المصرف. "أخ أكبر"، يؤكد إيمانويل ماكرون، أخٌ إضافيّ! مع قدر من الجرأة، وهذا ما يجب الاعتراف به، لأنّ الاضطلاع بهذا النوع من الروابط مع ذاك الذي يقدمه بعضهم على أنه الشيطان الأكبر، والتجسيد الملموس لعالم المال، ذلك العالم الذي أكّد فرنسوا هولاند في لقائه في بورجيه أنه سيقضي عليه، لهو أمرٌ يتطلب قدراً كبيراً من الجسارة والإقدام.

"أخ أكبر؟ هل قال ذلك؟"، سأل دافيد دو روتشيلد مفتعلاً الدهشة. قبل أن يتابع: "إنّي أكنّ له عاطفة صادقة. وفوق ذلك، كانت لديه الجرأة في تجنب إنكار مروره بهذا البيت"، متحدثاً عن تجربةٍ عادت عليه بمنفعةٍ كبرى وساعدته على التعرف إلى عالم المشاريع[٢]. وعلّق ألان مينك، ضاحكاً، هذا واضح: "فقد وقع دافيد في سحر ماكرون".

فيما يحضّر القهوة في المطبخ الصغير الملحق بمكتبه الحديث أيضاً ومن دون لوحة الأجداد ولكن بصورٍ لوالده، يستسلم دافيد دو روتشيلد للأسئلة بعينين نصف مغمضتين تمنحانه تلك النظرة

---

١ المؤشر الرئيسي في بورصة باريس. (المترجم)
٢ من مقابلة مع المؤلفة في ٢٤ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

الفريدة التي كانت لوالده، والتي يتميز بها أيضاً شقيقه إدوار. وبما أنه شاهد على مرور أجيال من ذوي الطموح في هذه القاعة، ذئاب فتية بأنياب مسنونة، قادمون من مناطق الأطراف متعطشون لاكتساح باريس، من دون تجربة سياسية وكلهم إثارة لدخول "معبد المال"، فقد أكسبه ذلك قدرةً على تحليل طبيعة الأشخاص والمواقف، فهو الذي عرف جيداً جورج بومبيدو الذي كان صديقاً مقرّباً من والده.

لماذا قرّر إيمانويل ماكرون أن يعيش تجربته المهنية الأولى في مصرف أعمال، فيما كلّ شيء في شبابه كان يدفعه نحو مسيرة أدبية أو فكرية؟ "كنت محظوظاً. لم تكن الأمور واضحة في نظري، وحده العمل لدى روتشيلد استطاع جلاءها"، كما صرّح لمارتين أورانج[1]. هذه ليست أقلّ التناقضات، إذ إنه حين تطرّق إلى مهنته القديمة، أو استحضرها، مثل ما صرّح، متباهياً، يوم ٢٤ شباط/ فبراير ٢٠١٧ على راديو مونتي كارلو، الإذاعة التي تصنف نفسها جماهيرية: "أنا فخور بأنّ لديّ مهنةً بين يديّ"، أو حين ينعت نفسه ساخراً أحياناً بـ"مصرفيٍّ نذلٍ بالغ الليبيرالية"، لم تكن غايته أن يضفي عليها بالضرورة النعوت الأكثر إطراءً: "نحن أشبه ما نكون بالمومسات وظيفتنا الإغراء..."، كما صرّح لصحيفة *Wall Street Journal* ما أثار في وجهه احتجاجات روابط المومسات!

١ مارتين أورانج، روتشيلد، **مصرف في السلطة**، ألبان ميشال، ٢٠١٢. (المترجم)

الإغراء، الذي سبق وتطرقنا إليه، رياضة يبرع فيها ماكرون، فهو القادر على إغواء الجماد. وقد أغنى وصفه المهنة، قبل سنوات قليلة، بهذا التعليق: "مهنة مصرفيّ الأعمال ليست مهنةً فكريةً تماماً، إذ إنّ تقليد ما يجري في ذلك الوسط هو الذي يوجّه خطانا"[1].

ظروف انضمامه سبق ورويت مرّاتٍ عدة. يؤكد دافيد روتشيلد أنّ "أصدقاء مقربّين" من "البيت" أوصوا بالشاب الموهوب، مثل سيرج وينبرغ، وجان - ميشال داروا المتزوج بابنة شقيق دافيد روتشيلد، بيتينا ريمس، أو جاك أتالي الذي تولّى طويلاً الصندوق الاجتماعيّ اليهوديّ الموحّد، وهم الذين خدعهم جميعاً أداؤه في لجنة أتالي، والدليل هذه الرسالة: "هناك فتى مميّز جدّاً يرغب في الانضمام إلى مصرف الأعمال. هل ترغب في مقابلته؟".

من اللقاء الأول، يؤكد دافيد دو روتشيلد، "من الصعوبة بمكان ألّا ندرك سريعاً مقدار ذكائه وسحره. قلت له إنّ عليه بالتأكيد مقابلة عدد لا بأس به من رفاقي الصغار من المفوّضين. بعدها أجمع الكلّ على انضمامه، وانضمّ. كانت مسيرة قصيرة، سلسة أو بالأحرى حارّة". هذا ما أكده فرنسوا هنرو وغريغوار شيرتوك، الذي ناضل من أجل ضمّه بخلاف ما كان يشاع أحياناً...

"عدنا والتقينا بعدها"، أضاف دافيد دو روتشيلد، الذي يؤكّد أنه فاتحه بتصوّره أن يصبح مفوّضاً للمصرف بعد وقتٍ قصير.

١ المصدر نفسه.

مسار متسارع، لكنّ المصرفيّ غريغوار شيرتوك يؤكد أنّه أيضاً أصبح مفوّضاً وهو في مطلع شبابه، وكذلك سيباستيان بروتو.

حين وصل ماكرون إلى المصرف، لم يكن لديه إلمامٌ بالجوانب التقنية، ويوضح دافيد دو روتشيلد "التمكّن من التقنية حاجة ضرورية في مهنتنا، لكن مع هوسٍ واهتمامٍ بالغ بالتجارة. بعض الأشخاص، بفعل موهبتهم، وسحرهم ونجاحهم في إقامة العلاقات ودراساتهم، يملكون استعداداً لتعلّم المهنة سريعاً من دون أن يتقنوا تماماً طريقة التعامل مع التقنية".

ظاهرياً، هذه كانت حال هذا الوافد حديثاً الذي يسلّط سحره على الجميع. ورغم بعض المعوّقات، ومنها الغيرة الطبيعية، نجح في أن يضمّ إلى صفّه مجموعة من الشباب ومن كانوا أقلّ شباباً. مبدياً اللطف للجميع، ملقياً التحية على السكرتيرات، كما رأينا، يسألهنّ عن أحوالهنّ، يطبع قبلةً على وجناتهنّ ويمضي في لطفه حتى النهاية إلى درجة أنه دعا بين أوّل من دعاهنّ إلى العشاء في بيرسي حين أصبح وزيراً، سيمون، سكرتيرة دافيد دو روتشيلد الوفيّة.

وهنا لا بد من التساؤل. حين أصبح إيمانويل ماكرون وزيراً، راح يحضّ بعض الشبان على "أن يصيروا من أصحاب المليارات"، ترى، ألم يغره أن يجرّب حظه في هذا العالم الذي يغصّ بالمليارات والذي كان يُكسبه أكثر مما تكسبه الوظيفة العامة؟ بالطبع، لا،

أو على الأقلّ، ليس قبل المرحلة السياسية. لو كان الأمر كذلك، يقول دافيد دو روتشيلد الذي حافظ على صداقة الوزير السابق، الذي يسأله، حين يتصل به هاتفياً، عن أخبار كلبه "بابا"، لكان بقي مفوّضاً، ولكان سلك مساراً على طريقة أندريه مايير الذي كان مرجعيةً مالية لدى لازار. لكن، ظاهرياً، "لم يكن المال محرّكه"، ولم يتّخذ في أيّ لحظة، كما يؤكد، وضعية من يملك الكثير، أو يبدو أكثر روتشيلد من روتشيلد نفسه بلعب دور المغفّل كما يفعل بعضهم. ثمّ يضيف دافيد دو روتشيلد، بابتسامة مواربة، هذه ليست ثقافة المصرف كما ينبّه إليها أولئك الراغبون في العمل في شركته: "إن كنت راغباً في وظيفة للسلطة وليس في وظيفة للخدمة، فقد أخطأت العنوان. هناك أنواع من الخدمة... ولكن إن كنت لا تقدّر، ولا تتذوّق الموقع المؤثّر للمستشار[1] الجدير بالاحتفاظ بالأسرار، والقادر على النفاذ إلى أفكار العديد من الناس في العديد من الدوائر، إن لم تفهم أنّ هذا مبهج لبعضهم أكثر من كونهم على رأس مؤسسة كبرى، فلا تفكّر في الانضمام إلينا!".

إيمانويل ماكرون، يضيف دافيد دو روتشيلد، عمل وتعلّم وقابل شبّاناً وانخرط في عدد من القضايا، ولم يكن الرقم الأول دائماً خلال سنواته الأولى. "كان يتقاضى مبالغ أقلّ بكثير من المبالغ التي

---

١ وردت في النص الأصلي بالصيغة الإيطالية consigliere، وتعني أكثر من مجرّد مستشار؛ إنه اليد اليمنى لربّ العمل، وصديقه المقرب، وكاتم أسراره ومنفّذ عملياته كما الحال في المافيات الإيطالية. (المترجم)

يتقاضاها من مضى على وجودهم في المؤسسة عشر سنين. سنة رحيله، ٢٠١٢، هي السنة التي حقّق فيها ماكرون صفقته الكبرى".

الصفقة المقصودة هي تلك التي حملها إلى المصرف والتي تتيح لشركة Nestlé أن تشتري من جديد قسم غذاء الأطفال من Pfizer[1] بمبلغ ١١,٩ مليار دولار، في مواجهة Danone[2]. وهي صفقة استطاع عقدها أواسط نيسان/ أبريل ٢٠١٢، بفضل العلاقة الوطيدة مع برابيك، "من المعجبين، ولا شكّ، بإيمانويل"، كل هذا وهو منكبٌّ على البرنامج الاقتصادي لفرنسوا هولاند مانحاً بذلك نقاط قوة للمقرّبين من الرئيس العتيد.

عمليّة كان، بلا شكّ، قد أطلع دافيد دو روتشيلد على تفاصيلها، وهو الذي أدرك عندئذ أنّ الاشتراكي إن تمّ انتخابه، فسيضمّ إليه هذا المساعد اللامع. "لم يكن هناك صراع مع فرنسوا بيرول. حين يكون شخص ما من المقرّبين إلى مرشّح للرئاسة، وينجح هذا المرشح في أن ينتخب رئيساً، فإن هذا المقرّب يغادر ليلتحق به". ويضيف: "كان يبدو لي أنه سيغادر، ولا شكّ، إلى الإيليزيه، نظراً إلى علاقته بفرنسوا هولاند". ظاهرياً، وظيفة الخادم، مهما تكن مجدية مالياً، فإنها لا تليق بهذا الشاب.

---

١ شركة صيدلانية أميركية أسست عام ١٨٤٩، ولها فروع في أكثر من ١٥٠ بلداً. (المترجم)

٢ شركة فرنسية من أهم الشركات العالمية في مجال منتجات الحليب الطازج ومشتقاته. (المترجم)

٩

وجوه المجتمع وأخباره

"لماذا *Paris Match*؟ الجواب بسيط: لأنّ أمامي وقتاً قصيراً لمضاعفة شهرتي".

حين التقى هذا المصرفيَّ الصديق، بعد وقت قصير على ظهوره هو وزوجته بريجيت على غلاف المجلة الواسعة الانتشار، لم يكن إيمانويل ماكرون يلعب دور العذارى اللواتي خُدش حياؤهن، كما كانت حاله حين يُسأل عن الموضوع في المقابلات التلفزيونية.

صحيح أنه حتى قبل أن يصبح وزيراً كان الشاب السريع الخاطر، المصرفيّ السابق لدى روتشيلد، المنجذب كالفراشة إلى الضوء، قد أسقط الحواجز مع وسائل الإعلام. حين عيِّن أميناً عامّاً مساعداً في الإيليزيه، في الوقت نفسه مع مسؤولين في CAC ٤٠ من المستويات كافة، ورؤساء تقنية – الاقتصاد الذين جمعه بهم كزافييه نيال في دورة مكثّفة، ظهر في عدد من المقابلات،

متربّعاً على الأرض أمام عدسات المصوّرين بالكمّ القصير. فهل هناك ما هو أكثر عفويّةً؟

هذا الذي أطلقت عليه صحيفة *Libération* لقب "دمية الإيليزيه" (في مقالة لغريغوار بيزو بعنوان Avec Macron, l'Élysée décroche le poupon[1]) هو رجل اللحظة. ليس لأن "ماكرون الصغير"، كما كان يطلق عليه في تلك المدة، مباشرة بعد انتخاب فرنسوا هولاند عام ٢٠١٢، تولى قضايا اقتصادية أي ملفاتٍ حساسة كأزمة اليورو فقط، لكن أيضاً لأنه شاب، وذو عقل رصين، ووجه ملائم للتصوير. وإننا لنشعر أنه لم يخفض الراتب الذي كان يتقاضاه لدى روتشيلد عشرة أضعاف كما لم يفتأ يردّد في مقالاته كي يبقى مستشاراً مغموراً منقوعاً في الظلّ. بات يشعر بالراحة "في العالم الكبير" الذي واكبه على مدى السنوات الأربع الماضية بصفةِ مصرفيّ أعمال، وبدأ يضاعف علاقاته.

لكنه في الوقت الراهن لم يعد يظهر إلّا في الصحافة "الرسمية" وحدها. لم يصبح بعد ضيفاً دائماً على صفحات المجتمع في المجلات والصحف. حتى لو كان الفضول تجاه الزوجين الفريدين قد بدأ يبرز، ما دفعه أحياناً إلى الطلب إلى الصحافيين الذين يلتقيهم "تجنب التركيز على عمره"، فليس هذا هو الموضوع. هو لم يصبح بعد مادةً للصحافة المجتمعية، لكنّ ذلك لا يلبث أن يحدث

١ "مع ماكرون حظيَ الإيليزيه بدمية". (المترجم)

سريعاً، وخصوصاً بعد دخوله إلى الحكومة وزيراً للاقتصاد. قبله بسنوات، رجلٌ يدعى نيكولا ساركوزي، مرّ ببيرسي، وتصرّف بالطريقة نفسها، مفتتحاً هذه "السياسة المجتمعية"، التي أصبح ممرّها إلزاميّاً من ذلك الحين.

أدرك إيمانويل ماكرون سريعاً أنّ الثنائي الذي يشكله وزوجته مكسبٌ سريع للشهرة. ثنائي متكامل كذاك الذي كان يشكله في الماضي سيسيليا ونيكولا ساركوزي الذي كان "يسوّق نفسه" بدوره. ثنائي جديد يستثير الفضول، ويتيح له خروجه في مواعيد محسوبة، واستفزازاته التي تضمن ظهوره على محطات الأخبار وشبكات التواصل الاجتماعي، فرصة مضاعفة شهرته وشعبيته في وقت قياسي. "في بضعة أشهر، من تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٤ حتى شباط/ فبراير ٢٠١٥، تراجعت نسبة الفرنسيين الذين لا يعرفون هذا الثنائي من ٤٧% إلى ١٨%. ثلاثون نقطة من الشهرة كسبها في بضعة أشهر، هذا أمر استثنائي تماماً"، يقول جيروم فوركيه، مدير قسم Opinion de l'Ifop[١]، في *Macron, l'invité surprise*، لفرنسوا – كزافييه بورمو[٢].

إن كان إيمانويل ماكرون قد نجح في تسويق نفسه لدى الفرنسيين في وقت قياسي، فلأنه يستند إلى كونه وزيراً، وإلى عثراته التي لا

١ الشركة الأولى في مجالات الإحصاء ودراسات التسويق. أسست عام ١٩٣٨. (المترجم)

٢ **ماكرون، الضيف المفاجأة**، لارشيبال، ٢٠١٧. (المترجم)

يتهرّب من تبعاتها (حين يصف العاملات لدى Gad بالأميّات، أو ردّاً على عامل يأخذ عليه ارتداء بزّة لمصمّم مشهور بالقول: "إنّ أفضل وسيلة للحصول على بزّة هي العمل")، وإلى تحويل حياته سيرة تروى: حكاية رجل استطاع دوماً، بالعمل والتصميم، في حياته الخاصة أو العامة، تحريك الخطوط الجامدة، وسعى إلى تحطيم العقليات المحافظة بطريقة منهجيّة.

في الانتظار، ومن أجل الانتشار على وسائل التواصل بلا شكّ، لم يتصرف ماكرون خلافاً لسابقيه. بالنسبة إلى شخص يريد دخول معترك السياسة بطريقة مختلفة، ويريد نفسه سيد انتهاك السائد، فإن الافتتاحية التي خصصتها *Paris Match* للثنائي، وللكلام الذي باحت به بريجيت ماكرون للصحافية كارولين بيغوزي، أثارت موجة من التعليقات الساخرة، إلى درجة دفعت الوزير إلى توضيح الأمور، حتى لو ترك انطباعاً بأنه غير متضامن مع زوجته. "زواجي، عائلتي، هذا أكثر ما أتمسك به، وتعريضه ليس إستراتيجية، وأنا أتحمل التبعات. إنه بلا شك عمل طائش، أعترف بذلك صراحةً، وليست إستراتيجية أن نعيد إنتاجه"، قال آنذاك... خمسة أشهر قبل افتتاحية جديدة.

من المؤكد أننا لمحنا تجديداً أكثر في الشكل. حتى لو كانت المقالة مهمة وتجيب عن عدد من الأسئلة المتعلقة ببريجيت ماكرون، فإنه يستند إلى معجم في التواصل "غير عصريٍّ تماماً،

بل بالٍ"، وينتمي إلى جيلٍ آخر، إلى حقبةٍ أخرى هي حقبة الذين يكبرونه سنّاً في السياسة، الذين هم أولاد التلفزيون، وليس عصر الإنترنت. إذاً، ماذا، هل يكون ماكرون معاصراً زائفاً؟

هذا لا يثير أبداً استغراب غاسبار غانتزر، المستشار الإعلامي لفرنسوا هولاند، الذي يصرّح ضاحكاً بأن المؤهل لتجسيد جيل جديد من السياسيين ليس موصولاً تماماً بالشبكة العنكبوتية، ولم يكن لديه حساب "تويتر" ولا صفحة "فايسبوك" إلا لدى وصوله إلى بيرسي! فرادة مدهشة لشخص في مثل سنه[١].

على أيّ حال، وخلافاً لالتزامهما تجنب تعريض نفسيهما مجدداً، بات الزوجان هدفاً لما نسميه في أوساط المصورين الفوتوغرافيين "حملة باباراتزي زائفة"، حين وجدا نفسيهما بعد ذلك بخمسة أشهر في افتتاحية *Paris Match* مجدداً، لكن هذه المرة في مايوهات الاستحمام، وقد "فوجئا" أثناء إجازة لهما في بياريتز.

في الواقع، يعرف المرشح المستقبلي للرئاسة، معرفة اليقين، أنه لا يستطيع الفرار من الامتحان الدقيق الذي يفرضه الترشح للإيليزيه، وكذلك بريجيت. وفي تعليقها على هذا الانتقال المفاجئ من الظلّ إلى الأضواء، حيث شبهت إطلالتها الأولى بهزيمة واترلو، وجدت أنه أمرٌ "كان لا بدّ منه لأنّ الفرنسيين

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٣٠ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٦.

يختارون الزوجين. حين كنت في الأقاليم، كان الناس يريدون أن يروني. لقد وجدوا أنّنا نشكّل ثنائيّاً جيداً، وقالوا لي: لقد التزم. إنه وفيّ[١]". ومن أجل تعزيز هذا التواصل الإعلامي مع الجمهور العريض، استعان الثنائي، باعتراف بريجيت، بامرأة تدعى ميمي مارشان. "طلبت أن تلتقيني، إنها صريحة، وتهتم بصورتنا كثنائيٍّ معاً"، وبالمصورة الفوتوغرافية سوازيغ دو لا ماسونيير من أجل تأمين الصور للصحافة وللشبكات الاجتماعية. إشارة تدلّ، إن كان ثمة حاجة إلى ذلك، على أنّ إيمانويل ماكرون وزوجته بريجيت، رغم احتجاجاتهما، لا يهملان أيّ تفصيل.

فميشيل مارشان، المعروفة في عالم الصحافة باسم ميمي مارشان، لم تكن امرأة غير ذات شأن. فهي شريكة في تأسيس موقع Purepeople، وتدير Bestimage، الوكالة المهمة لتصوير المشاهير، التي، كما يشير موقعها "تراقب وتغطي يوميّاً أخبار وجوه المجتمع في فرنسا وفي أيّ مكان آخر في العالم". شخصية حقيقية، وملكة تقريباً لصحافة المجتمع رغم وقوفها في الظلّ، وتتمتع بأوسع شبكة علاقات في باريس تضمّ شخصيات من عالم السياسة والأعمال والاستعراض، وتسري همسات أنها كانت وراء نشر مجلة *Closer* الصور التي أثارت ما عرف باسم "غاييتغايت"[٢].

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٢٤ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.
٢ صور التقطت للرئيس الفرنسي عام ٢٠١٤ وهو بصحبة الممثلة الفرنسية جولي غاييت، وأثارت موجة من التعليقات عن علاقة ناشئة بينهما ستضع حدًّا

ومن باب الخدمات، تؤمن لزبائنها الظهور بـ"صور نظيفة" في الصحف وعلى شبكة الإنترنت. وبمعنى أوضح، كما يشير أحد أصدقائها الكبار: "تقوم ميمي بفرز الصور المتداولة، فإذا وقعت على صورة مزعجة أو رديئة، تعالج الوضع سريعاً وبطريقة مذهلة، حتى أنها تنظّم، حين يقتضي الأمر، صوراً زائفة منحولة".

إذن هذه المرأة صاحبة التأثير، التي أطلق عليها في مقالة نشرت في صحيفة *Le Monde* في ٢١ شباط/ فبراير ٢٠١٤ "ماتا هاري الباباراتزي"[١]، ووصفت بأنها "الأكثر خبرة، والأكثر مهارة، والأكثر شهرة وصاحبة المعلومات التي لا تجارى في الصحافة حول الحياة الخاصة للمشاهير من باريس إلى هوليوود"، وهي التي تتولى إدارة الصور العائدة لكل من إيمانويل وبريجيت ماكرون، والتي يمثّل نقاؤها الإعلامي مسألةً نسبية.

تكليف اختصاصية في "عالم الجمال" إدارة صوره، وليس كلّ اتصالاته، خيار ذو دلالة. ويفسره الانطلاق الجنوني، منذ بضع سنوات، لـ"مشاهير الوجوه الإعلامية السياسية"، التي هي وسيلة لـ"رفع المبيعات"[٢]، وكذلك الإقبال على المناسبات الاجتماعية

لعلاقة الرئيس بصديقته السابقة فاليري تريورفيلار. (المترجم)

١ الراقصة الهولندية التي اتهمت بالتجسس لحساب الألمان في الحرب العالمية الأولى وأعدمت رمياً بالرصاص عام ١٩١٧. (المترجم)

٢ إيمانويل ماكرون، في هذا الصدد، شأنه شأن نيكولا ساركوزي من قبله، يشرح طوعاً أنه ليس هو الذي تقرّب من الصحف، وأنها ليست غلطته إن رفع مبيعات الصحيفة.

والسهرات التي لم نكن نتصورها لدى سياسي يقدم نفسه فيلسوفاً مشاكساً وتلميذ ريكور. على أي حال، كما نجح في فتح أبواب الاستابلشمنت الاقتصادي والمالي بفضل مسيرة الامتياز التي تدرج فيها في أرقى المدارس، ها هو يدخل عالم الاستعراض و"نجوم المجتمع" الحقيقيين، ويساعده مرة أخرى عرّاب أكثر شباباً من الآخرين هو باسكال هوزلو.

يا له من شخصية متعددة النشاطات! فهو منظم حفلات، ورجل إعلام، وكان، على مدى سنوات، اليد اليمنى لإيتيان موجوت على TF1، ويملك بدوره شبكة علاقات تجعل كل مبتدئ وصوليّ يموت حسداً. مؤسس شبكة Pink TV، ثم شبكة Numéro 23، ومناضل في سبيل زواج المثليين وناشط في الحملة ضد السيدا. مجلة *L'Express* شبهته بـ"بيتر بان الأعمال وملك العلاقات الاجتماعية واللوبيينغ" في مقالة لرينو ريفيل بعنوان "Le corsaire du PAF"[١].

وهوزلو، عدا لطافته الحقيقية ووفائه الكبير لأصدقائه، يتمتع بميزة بديهية، فلديه ما يشبه الرادار الذي يتيح له، قبل الآخرين، اكتشاف النجوم الذين سيكون لهم شأن، وذلك في المجالات جميعاً: فنية واقتصادية وسياسية. أشخاص يصبحون غالباً من

١ أي "قرصان PAF"، وPAF هي الأحرف الأولى لتسمية "المشهد الإعلامي الفرنسي"، والمقصود به عالم الإعلام السمعي - البصري من أصحاب محطات تلفزيونية وإذاعية ومنتجين ومقدمي برامج... (المترجم)

أصدقائه ويدعوهم بانتظام إلى العشاءات التي ينظمها في شقته المشرفة على المرفأ. هناك يلتقي أصدقاءه الدائمين الذين تعرف إليهم حين كان لا يزال في الأوساط السياسية، أو في اللوبيينغ الصرف، كمنتجة التلفزيون آن ماركاسوس، وفاليري برني وزوجها فرانك جنتان، أو كلير شازال، ثم أولئك الذين تدرّجوا شيئاً فشيئاً، كمصرفيّ الأعمال في لازار ماتيو بيغاس، وكزافييه نيال ودلفين أرنو، ولين رونو، وبيار برجيه. باسكال هوزلو مثلاً هو الذي، وفق كزافييه نيال، أصرّ على جمعه، بعد نحو ثلاثة أشهر على تولي الثلاثي برجيه – نيال – بيغاس شؤون صحيفة *Le Monde* (حينذاك كان ماكرون قد عمل لحساب الفريق الخصم)، بـ"مصرفيّ شاب يسطع نجمه" هو إيمانويل ماكرون، الذي كان لا يزال في تلك المدة لدى روتشيلد. تناولا الغداء معاً لدى Hanawa، وهو مطعم ياباني في شارع بايار حيث يلتقي ظهر كل يوم نجوم PAF والاقتصاد. واستمرّا على تواصل حين أصبح ماكرون أميناً عاماً مساعداً في الإيليزيه، ثم وزيراً، يتناولان الغداء معاً، مرة عنده، وأخرى عند فرنسوا هولاند وفاليري تريورفيلار في شقتهما في الدائرة الخامسة عشرة، ثم العشاء أيضاً. الأربعة معاً، وتنضم إليهم أحياناً بريجيت ودلفين أرنو، صديقة نيال، التي هي أيضاً مديرة عامة مساعدة لدى لوي فويتون، ما يفسّر، ربما، ارتداء بريجيت ماكرون، التي تتمتع بمقاسات عارضات الأزياء، لوي فويتون

"بالكامل"، منذ بعض الوقت.

ماكرون الذي أصبح وزيراً، سيعرّفه نيال إلى العديد من مديري التكنولوجيا وأصحاب المؤسسات الناشئة، وهو وسط لم يكن على اطلاع واسع عليه. وهكذا التقى لدى نيال، إيفان سبيغل، الملياردير الشاب وصاحب Snapchat. ولدى خروجه من منزله، فوجئ بحشد من مصوّري الباباراتزي. "للحظة قلت في نفسي إنني لم يسبق أن كنت هدفاً للباباراتزي، قبل أن أدرك أنهم لم يأتوا من أجلي بل من أجل ميراندا كير"، وهي عارضة أزياء أسترالية وخطيبة سبيغل، كما يروي إيمانويل ماكرون لاحقاً.

أتراه شعر بالأسف لأنه لم يكن هو المقصود؟ ظاهريّاً لا يزعجه أن يجد نفسه تحت الأضواء الكاشفة، ولا مرافقة أسياد الاستعراض. وهذا ما دفع جاك أتالي إلى القول ساخراً: "لا نستطيع القول إنه لا يدعو سوى حمَلة جوائز نوبل!".

هل هي متعة، أم خيار تكتيكي، أم لأنهما عاشا كالمهمّشَين في المجتمع على مدى سنوات طويلة، وكالمرذولين لأنهما "مختلفان"؟ وجد الزوجان ماكرون نفسيهما أكثر فأكثر على صفحات المجتمع في المجلات، ويلبيان الدعوات إلى افتتاحيات المسرحيات، ويحضران تحديداً عيد مولد لين رونو ليطفئا الشموع لتلك التي رأت في ماكرون "شيراكاً صغيراً"، ويلتقطا الصور إلى جانب جوني ولايتيسيا هاليداي، وموريل روبن،

وفانيسا بارادي وستيفان بيرن.

هل تسكرهما الحياة الباريسية، فيغرقا في دوامتها؟ على أيّ حال، لا يزعج إيمانويل ماكرون، ظاهريّاً، كما جاك شيراك ونيكولا ساركوزي، الظهور مع شخصيات شعبية لها تقديرها لدى الفرنسيين. لا جديد تماماً تحت الشمس، إلا إذا رأينا أنّ هذه الإستراتيجية بدأت تؤتي ثمارها بما أن لين رونو، صديقة شيراك المقرّبة ("تربطنا صلة وثيقة بلين رونو. كان انجذاباً من النظرة الأولى منذ عامين. هي لا تستسلم مطلقاً. وهي مثالية دوماً"، تقول بريجيت[1]) أعلنت بعد بضعة أشهر أنها ستدعم ماكرون في الانتخابات الرئاسية!

مثل نيكولا ساركوزي الذي انتقداه كثيراً، ضاعف الزوجان ماكرون دعوات العشاء واللقاءات مع رجال الاستعراض حين كان إيمانويل في بيرسي. تقرّبا من فابريس لوتشيني، الذي سيعير بيته في ليل دو ري للوزير من أجل أن ينهي فيه كتابه *Révolution*. "اصطحبت إيمانويل إلى السينما لمشاهدة Gemma Bovery مع لوتشيني. ولدى خروجنا، قال لي: "لديّ رغبة حقيقية في التعرّف إليه"، تتذكر بريجيت، التي تتابع: "بعد أيام، اتصل منتجه ماتيو تارو ببيرسي ليعلن لنا أن لوتشيني راغب في لقاء إيمانويل. جاء للعشاء. حين دخل إلى المكتب، ألقى سترته وقال: حسناً،

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٩ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

ستجري الأمور كما يجب!. وبدأ بالحديث عن فوريه ورمبو مع إيمانويل، كما لو كانا صديقين منذ زمن طويل"[1].

يكثر الزوجان ماكرون الدعوات حين يكونان في بيرسي، ويتناولان العشاء في أحد مطاعم المدينة مع ممثلين أمثال غيوم غاليان، وإريك روف أو الممثل البلجيكي، الشريك في الكوميديا - الفرنسية، كريستيان هك ("هو الأقرب إليّ، إننا نعشقه"، يؤكد إيمانويل ماكرون[2])، وكذلك دانييل تومبسون وألبير كوسكي أو الزوجين كلوزيه... وأحياناً مع سياسيين، مثل جان - بيار جوييه، أو أرباب عمل، مثل مارك لادريت دو لاشاريير، الذين ينضمون إلى المجموعة، حيث يتبادل الجميع الكلام من دون أيّ كلفة وفي جو من الألفة والمرح، أو يذهبان لتناول العشاء لدى كلير شازال، مع الكاتب فيليب بيسون الذي أصبح مقرّباً منهما. يتفتّحان وسط علية القوم في باريس.

هنا أيضاً ذاك الذي كان يدّعي الانخراط في السياسة على نحو مختلف، بدا كأنه يسير على خطى من تقدّماه، جاك شيراك ونيكولا ساركوزي. يبني علاقات، يمدّ جسوراً، يدعو ويغوي على نحو مكثّف. ستيفان بيرن كان من بين أصدقائه الجدد. تعرّف إليه بعدما كاد يدهسه بسيارته ذات يوم في الشارع قريباً من مجلس الشيوخ. "انتبه حضرة السيد الوزير!"، صاح به

١ من مقابلة مع المؤلفة في ١٠ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.
٢ من مقابلة مع المؤلفة في ٩ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

مقدّم البرامج. "آه، ستيفان بيرن، زوجتي تعشقك، هل لي برقم هاتفك!". بريجيت لديها قدرة على التحمّل، ولكن، وفق بعض المقربين، هي الأكثر استمتاعاً عمليّاً بهذه "الاجتماعيات". "يرى أنها تسرّها، أما هو، فتروّح عنه".

بالطبع، هذه المظاهر تتيح له نزع صفة المصرفيّ لدى روتشيلد التي التصقت به، والاختلاط بجمهور مختلف. وهكذا، كما يروي ماك إندولد في كتابه *L'Ambigu Monsieur Macron*، تقرّب أثناء التدرب في مديرية لواز، من أندريه فرشورن، نجم العزف على الأكوردیون في تلك الناحية!

تقول زوجته إنه كان يستمع غالباً أثناء العمل إلى Variations Goldberg لباخ، وهي من عزف غلين غولد. وهو يحب أيضاً جو داسان، ويحفظ عن ظهر قلب أغاني جوني وأزنافور. "يعشق غناء "أنا مثليٌّ كما يقولون" لأزنافور. في الواقع، هو لا يعرف المعاصرين. يبدو أن الزمن توقف لديه عند جاك بريل"[1].

ستيفان بيرن، الواقع ظاهريّاً تحت السحر، يؤكد أن هذين الزوجين "يحبان الفنانين، ويقصدان السينما، ويقرآن الكتب، ويتردّدان على المسرح". في بيرسي، حين كانا يوجهان الدعوات إلى العشاء، كان الأمر يتمّ كما يؤكد أيضاً "على نحو طبيعيٍّ جدّاً، وعاطفيّ، وكان يبدو صادقاً في عاطفته". ستيفان بيرن، أحد

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٩ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

مقدّمي البرامج المفضلين لدى الفرنسيين، يقدر له، على أيّ حال، تلبية دعوته في حزيران/ يونيو ٢٠١٦ إلى تدشين معهد تيرون - غارديه الملكيّ الذي أعاد ترميمه.

ومن ثم، يشترك الرجلان في أنهما فهما، كلٌّ على طريقته، الأثر الدائم الذي خلّفه النظام الملكي في فرنسا. الأول صديق الرؤوس المتوّجة الذي يتفتّح كوردة في البرعم إلى جانب الأمراء والملوك، وقدّم نفسه بهذه الصفة. الثاني حرص على الإشارة إلى التردّدات التي خلّفها غياب الملك في تاريخنا السياسي منذ الثورة الفرنسية. وترأسا، كلاهما، أعياد جاندارك في أورليان، ويحدوهما دافع قوي هو الحرص على أن يكونا محبوبَين. "وكنت قلت له: "سترى، هذه هي التجربة الأكثر إثارة التي يمكن أن نصادفها في حياتنا. خمسمئة ألف شخص احتشدوا على طول خمسة كيلومترات من أجل أن يروك ويتحدثوا إليك رافعين إليك أولادهم. هذا جنون". ورأى إيمانويل ماكرون وقدّر. وفي خطاب ضمّنه وقائع من مسيرته الشخصية، وجّه تحية تقدير إلى تلك البطلة التي "صدّعت النظام" و"عرفت كيف توحّد البلاد"، قبل عصر الاستعراض...

١٠

الجسم السياسي الغامض

"هل كلّ ما تفعله من أجل جدتك؟". سألته ونحن في المقعد الخلفي لسيارته منذ عشر دقائق. كان قد غادر للتو مؤسسة استثمار زراعية زارها مطوّلاً في مايان. نظّف بقطعة قماش أسفل بنطلونه وحذاءه الأنيق الذي لا يتلاءم مع هذه البيئة، وقد لوّثه الوحل قليلاً. بدا متفاجئاً. نظر من النافذة بعينين شاردتين وأجاب بصوت هامس: "نعم، ربّما".

نعم، ربّما، "كلّ هذا"، باعترافه، فعله من أجل جدته. مانيت تلك التي يأتي على ذكرها أحياناً في لقاءاته، والتي ماتت تقريباً بعد دخوله إلى الإيليزيه. "لست أدري كيف كان يمكنها أن تعيش هذه الحقبة. بحسرة ولا شكّ". لكن اليقين بأنّ ثمّة مصيراً في انتظاره، أليست هي التي شحنته به؟ أجاب بصوت رقيق متحرّراً قليلاً من رنة صوته المعدنية: "لم تربّني قطّ على فكرة أنّ مصيراً

في انتظاري، لكنها سلّحتني، ولا شكّ، من أجل أن يكون لي مثل هذا المصير. كانت متطلبة جدّاً، أحبتني من دون شروط، وهذا أمرٌ نادر في الحياة". الآن، وقد استبدّ به التأثر، راح يتكلم بصوت يكاد لا يسمع: "وهذا يحرّر. صحيح أنني حظيت بحظّ غير مسبوق، وبحريّة لا تصدّق. وبقدر ما تعزّز هذه الحرية الثقة بالنفس تعزيزاً كبيراً، فإنها بالطريقة نفسها تُلزم. يعتريني شعور ثابت وقويّ، بأنّ الحرية التي نعمت بها حصلت عليها بنشاطي، كانت تُلزمني (تنحنح) بأن أحسن العمل. لأنّ جدتي كانت هكذا. لكنني انخرطت، ربما... في هذه المعركة حين لم تعد هي في هذه الحياة، كانت قد اعتبرت أنّ ما أفعله ضرب من الجنون من دون شكّ". وبصوت مخنوق تقريباً، شبه طفولي، استنتج: "لكنها كانت أطلقت يديّ في التصرف".

مؤثِّرٌ هذا الاعتراف، ومؤثِّرةٌ هذه الطريقة في التصريح بأنه لم يكن لمانيت يدٌ في مغامرته السياسية، وحتى أنه لم يثر معها يوماً احتمال دخوله هذا المعترك، وفق قوله. مع ذلك، هو مقتنع بأنها كانت تعلم أنه سينخرط إن لم يكن في السياسة ففي الشأن الاجتماعي. عرفت ذلك على الدوام ولكن (صوته الرقيق بات الآن أشبه بصوت طفل): "لم أقل لها يوماً إنّ هذا هو مشروعي، ولم أرتّب حياتي لأسلك هذا الاتجاه".

على أيّ حال، تسبّب غياب هذه الجدة عام ٢٠١٣، فيما كان

أميناً عاماً مساعداً في الإيليزيه، بشرخ عميق في علاقته بفرنسوا هولاند.

في تلك الحقبة، كان إيمانويل ماكرون محطّماً إلى درجة أنّ بريجيت اتصلت ببعض أصدقائه المقرّبين تطلب منهم التردّد عليه. أحد هؤلاء يتذكر أنّ ماكرون، تحت وقع الانفعال، قال له حين جاء يزوره: "انتهى الأمر مع هولاند". وأخبره أنّه حين بلّغ رئيس الجمهورية بموت هذه الإنسانة البالغة الأهمية لديه، ردَّ بعبارةٍ تافهةٍ من نوع: "محزن أن تفقد جدّتك. أنا أيضاً حزنت حين فقدت جدتي"، وهذا يُظهر من أيّ معدنٍ خشبيٍّ ميت قُدَّ رئيس الدولة. "ابتداءً من تلك اللحظة، يؤكد هذا الصديق، بدأ بمعاملة هولاند معاملة الندّ للندّ"، كي لا يعتريه إطلاقاً الشعور بأنه مدين له بشيء، كما سيعترف بذلك بعد أشهر.

ونطرح السؤال على ماكرون. "ليس خطأً، يجيب. الطريقة التي قابل بها فرنسوا هولاند موت جدتي حين أعلمته به، لا أحبّها أن تكون طريقتي!"[١].

يا لها من قاعدة مهتزة يقوم عليها المصير السياسي!

الحقيقة أنّ إيمانويل ماكرون كان يطمح إلى الإيليزيه منذ زمن بعيد بخلاف ما كان يشاع لدى دخوله الوظيفة العامة. مارك فيراتشي، صديقه منذ أيام "المعهد الوطني للإدارة"، يرى أن

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٢٨ شباط/ فبراير ٢٠١٧.

"السياسة بالنسبة إلى إيمانويل مشروعٌ تجذّر باكراً في حياته ومسؤولياته ومسيرته". على أيّ حال، يتذكر هذا الصديق الذي كان شاهداً على زواجه، "حين قرّر الانضمام إلى روتشيلد، كثيرون بيننا قالوا له إنّ خطوةً كهذه، في بلاد مثل فرنسا، ستطرح مشكلة في أيّ لحظة. لكنه أجابنا بأنّها على العكس، ستؤمّن له الحرية المالية".

طريقةٌ للتميّز عن عالم السياسة الذي يريد ماكرون الانفصال عنه بأيّ ثمن، فلم يجعل السياسة في رأس اهتماماته الشخصية ما دام يدرك مقدار الحذر الذي يتطلبه الانخراط في هذا العالم. محاولته الانتماء إلى توكيه، حيث كان يتردّد نهايةَ كل أسبوع تقريباً إلى بيت بريجيت، ثم إلى هوت - بيرينيه، لا يتحدث عنها إطلاقاً. بداياته لدى جان - بيار شيفانمان، الذي لا يقارن التجانس المحدود معه بالتقارب الذهني العميق مع ميشال روكار، لا يتطرق إليها إلّا قليلاً، فيما يعلن أنه يكنّ احتراماً للوزير السابق. والحال أنه ليس مجهول المنشأ، ولا كبر في عالم معزول بعيداً عن السياسة أو من دون أيّ اهتمام بها، غارقاً في قراءة مؤلفات الكتّاب الكبار فقط، وفق الصورة الأولى المنقولة عنه.

لا، فالحقيقة أنه كان "دائم الانجذاب والاهتمام بالسياسة" ونشأ في عائلة ذات انتماء يساريّ واضح. والداه كما جدته الحبيبة التي احتفلوا عندها بانتصار فرنسوا ميتران عام ١٩٨١، كانوا

مهتمين بالسياسة، لكن "لم يكونوا مناضلين، ولا أنا أيضاً على أيّ حال"، في محاولةٍ منه لتأكيد "عذريته الانتخابية". وهكذا، إلى جانب الروايات والأدب، قرأ "بنهم" الجزء الأول من *Verbatim*[١] جاك أتالي، وكان لا يزال في السادسة عشرة. كتاب غير مشوّق إلى حدٍّ ما بالنسبة إلى مراهق، لكنه كان يمنحه الانطباع بدخول القلب النووي للسلطة. قرأ لاحقاً معظم سير السياسيين التي وضعها جان لاكوتير عن ديغول وفرنسوا ميتران وبيار منديس فرانس. كما اكتشف كتب ميشال روكار قبل أن يتعرف إليه عن طريق هنري هرمان، وبعض مؤلفات الجنرال ديغول، وكذلك خطبه: "قرأتها بانتظام، أحبّ كثيراً أسلوبه، وجمله الشديدة الرزانة والاتزان"، يقول اليوم.

تفاعلاته السياسية الأولى؟ ذكر أنه لا يحفظ منها سوى "ذكرى مبهمة عن عام ١٩٨١" (كان له من العمر أربع سنوات!) بخلاف إعادة انتخاب فرنسوا ميتران عام ١٩٨٨، التي اطلع عليها عند جدته دوماً. ثم ذكر من دون اقتناع كبير، بعض اللحظات التي طبعته: سقوط جدار برلين، في ٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٩، "حدث مفصليّ إلى حدٍّ ما". حملة معاهدة ماسترخت، المناظرة الشهيرة بين فرنسوا ميتران وفيليب سيغان، إعلان ديلور، وفاة بيار بيريغوفوا في نيفير عام ١٩٩٣، التي "لا يزال يذكرها جيداً". كما

1 *Verbatim I*, Librairie générale française, 1986.

لا يزال يذكر انتخابات الرئاسة عام ١٩٩٥ مع أنه لم يكن قد بلغ سن الاقتراع في تلك السنة، وكان قد انتقل إلى ليسيه هنري الرابع في باريس: "كان يجب أن أستعيد نقاط استدلالي، وأن أتقدم لامتحانات البكالوريا الفرنسية". بعد ذلك بسبع سنوات، في الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٢ التي شهدت انتقال جان – ماري لوبان إلى الدورة الثانية وسط ذهول عام، وجد نفسه بعيداً عن كل شيء، في نيجيريا، بعدما طلب إرساله إلى هناك في إطار التدرب في ENA، في بلاد تعاني حرباً. "يوم ٢١ نيسان/ أبريل الذي طبع جيلي كان سخيفاً جداً بالنسبة إليّ. كان دويّ رعد. كنت تائهاً، شبه مصدوم بعيداً عن باريس، في أبوجا العاصمة الفيديرالية، مع سفير أقربٍ إلى اليمين، جان – مارك سيمون. وعشية الدورة الأولى، كنا منشغلين بالعثور على جثتي الفرنسيين اللذين اختفيا في حادث تحطم طائرة"[١]. ما أثار دهشته خصوصاً هو ما حدث بعد الانتخابات في صورة استفتاء شعبي لجاك شيراك: "لا إعادة تكوين وراء ذلك، ولا خلاصة سياسية". في تلك الحقبة، كان الشاب في نهاية "مرحلة الشفانمانية" (اقترع لمصلحته في الدورة الأولى عام ٢٠٠٢، قبل أن يقترع لشيراك في الدورة الثانية).

على الصعيد الدولي، يتذكر بالطبع ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١. كان آنذاك في ENA وموجوداً في أميان: "ذهبت إلى المدرسة

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٢٨ شباط/ فبراير ٢٠١٧.

لاصطحاب بريجيت، كانت خارجة من الصف وأنا الذي أنبأتها بالخبر. الجميع كانوا في حالة ذهول لا تصدق".

أثناء الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٧، كان إيمانويل ماكرون في باريس هذه المرة، في مفتشية المال. يقول إنه لا يذكر لحساب مَن صوّت في الدورة الأولى لكنه في الثانية صوّت لسيغولين روايال. وهو ليس متفقاً حقّاً مع أولئك الذين يرون تطابقاً بين حملته عام ٢٠١٧ وحملة الرئيسة السابقة للمجلس المحلّي لبواتو – شارنت. "لقد عثرتْ على إيقاعها، وخاضت حملة جيدة لكنها لم تتوصل إلى ضم الحزب الاشتراكي حتى لو كانت الأولى التي أدركت بحدسها السليم، كما في الغالب، طبيعة المشاركة تحديداً". ويؤكد: "نحن خارج أيّ حزب. هي اتخذت خيار التجديد من داخل حزب انتخبت عنه منذ أكثر من عشرين عاماً. أما خيارنا السياسي، فهو أكثر جذريةً ويتيح لي اليوم إعادة التكوين والتجديد". هو يلاحظ أنّ الزمن تبدّل: "الأزمة الديموقراطية لم تكن بمثل هذه الحدة ولا حالة البلاد كذلك". ونلحّ عليه: لكنّ هذه الإحالات شبه الروحانية تذكّر بسيغولين روايال التي كانت تطلب من مناصريها، وهي بالرداء الأزرق، أن "يحاولوا أن يكونوا أفضل" وتدعوهم إلى الهتاف: "أخوّة، أخوّة"، ألم يمدّه كلّ هذا بالوحي؟ لا، حقّاً، لا يرى ذلك. "صحيح أنني أحب فعلاً جمع الإثباتات وحشدها على الساحة لإثارة الحماسة، لكنّ المقارنة

لا تصحّ. لن أرتدي رداءً، اطمئني"، قالها ضاحكاً[1].

إنه يحبّ عشوائياً، لكنه يتقن جيداً استخدام القاموس نفسه الذي استخدمته المرشحة السابقة للحزب الاشتراكي، وتحديداً حين يتحدّث إلى مناصريه عن الحب، كما في طولون، حين هتف فيهم "أحبّكم"، أو يلعب دور وعّاظ الشاشة في العصر الرقمي، مقتنعاً، وفق قوله، بأنه "من الخطأ الجسيم تجنب التحدث عن الحبّ في السياسة، لأنني أعتقد أنّ ثمّة جانباً عاطفيّاً وغير عقلانيّ الناس بحاجة إليه"[2]. وأضاف منجذباً: "بذل ذاتي، طريقتي في الدخول على الجمهور، اتصالي المباشر، تعريض نفسي طويلاً، كلّ هذا ما كنت لأفعله لو أنني لا أحبّ الفرنسيين. إذن، في لحظة معينة، يجب قول ذلك لهم لأنهم بحاجة إليه". ويضيف: "ثمة شيءٌ ما يحدث في لحظةٍ ما، هو هذا Kairos[3] الذي لا نستطيع شيئاً حياله، فإما أن نكون داخله وإما ألا نكون. هناك قوة اللحظة الجارفة التي تتخطانا. علينا أن نفعل ما نؤمن به، وأن نعطي ما علينا أن نعطيه، ومن كل قلبنا. وحين تتجاوزك الأشياء عليك التحلّي

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٢٨ شباط/ فبراير ٢٠١٧.
٢ المرجع نفسه.
٣ لفظة كرونوس chronos تعني الوقت، أما kairos، فتعني الوقت الملائم. في **الإنجيل** هو وقت الله بامتياز. إنه التدخل الحاسم لله عبر التجسّد المحيي. أما معجم "لاروس"، فيعرفها كأنها صورة مجازية للفرصة المناسبة الممثلة غالباً بفتى جميل ذي عقبين وكتفين مجنحين. إنها اللحظة الهاربة ولكن الأساسية الخاضعة للمصادفة والمرتبطة بالمطلق. ليس الكايروس شيئاً من دون المعرفة التي تتيح التعرف إليه. إنه ملَكة، معنى في داخلنا يهيّئنا لالتقاط الفرصة الملائمة.

بهذا التواضع الذي يمكننا دوماً عقلنته لاحقاً، وتشذيبه، لكنّ ذلك لا يصحّ بالكامل".

روحاني ومسيحويّ مرشح حركة "إلى الأمام!"، وتلميذ اليسوعيين سابقاً؟ دوماً كان عرضة للسخرية بسبب ذلك، وخصوصاً بعد لقائه الجماهيريّ الأول عند بوابة فرساي، الذي ختمه بذراعين متشابكتين في شكل صليب وبصوت متهدّج، أمام جمهور متحمّس.

"ماكرون، في الواقع، هو بونابارت. وقد شرحت له لماذا"، يقول حاييم كورسيا، حاخام فرنسا الأكبر الذي كان كثيراً ما يتبادل معه الكلام. "ظهر ماكرون، في الواقع، بعد زمن قطعت فيه الرؤوس: ساركوزي، جوبيه، فالس، هولاند. ثم لديه هذا الشباب، هذه الحماسة، هذه الثقة التي كانت لدى بونابارت حين وصل بعد النظام القديم والثورة. هو يملك القدرة على الجذب، وهذه الشخصية المؤثرة. الشباب يجدون أنفسهم في خطابه"[1].

"هذا الاسم، إلى الأمام!"[2]، يتابع كورسيا، ليس تافهاً ولا عديم الدلالة. إنه تلميح إلى عبارة لسانت اكزوبري في كتابه *Vol de nuit*[3]: "ما من حلّ في الحياة. هناك قوى منطلقة: يجب خلقها والحلول تأتي". كما أنه إحالة إلى منحوتة جياكوميتي

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٢٧ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.
٢ اسم الحركة بالفرنسية en marche! وترجمتها العربية الشائعة: "إلى الأمام!" لكنها تعني أيضاً في ما تعنيه: "انطلق، أو انطلقوا..." (المترجم)
٣ **طيران الليل**. (المترجم)

"الرجل المنطلق"، أو إلى الله الذي قال لإبراهيم: "تخلّ عن قناعاتك، وانطلق". "الخروج من مصر، هو خروج من الضيق، من الانحباس"، قال الحاخام الذي يبدو بالتأكيد أنه واقع تحت سحر هذا المرشح الرئاسي.

من المسلي، على أيّ حال، ملاحظة وجود علاقات متبادلة وبانتظام بين إيمانويل ماكرون وصديق جاك شيراك منذ زمن طويل، الذي كان يناديه تحبّباً "رابينو". لكن هل يصبح ماكرون "مسكوناً"، كما يشير منتقدوه بسخرية؟ هل يشعر أنه حاملُ رسالةً، وهو الذي نشأ في عائلة لا هي مؤمنة ولا تقية، والذي قرّر أن يتعمّد حين أصبح له من العمر اثنا عشر عاماً؟ "أعتقد أنّ لديه جانباً ما روحانيّاً. الكلمة التي ردّدها جميع الأنبياء: "ها آنذا!" تنطبق عليه. هو جدير بالتخلي عن كلّ شيءٍ من أجل بناء شيءٍ ما في خدمة البلاد. هو ليس سجين شيءٍ وهذا ما يستفزّ الآخرين"، يتابع كورسيا، الذي قدّم إلى الوزير السابق ممثلين دينيين كاثوليك ومسلمين، ويشير إلى أنه حين جاء لحضور المجمع في كيبور من دون آلات تصوير، "ارتجل تعليقاً عن معنى النبي يونس... الذي رفض رسالته". يعتقد الحاخام أن السرّ المطلق لمرشح "إلى الأمام!" الذي يعرف النصوص ولديه "إلمام عميق وتقدير لطقوس جميع الأديان"، هو سعادته بما يفعله. "من دون أيّ ادعاء".

جاك أتالي يعارض هذا الكلام. فإيمانويل ماكرون، في رأيه،

يشعر بأنّ "لديه مصيراً لكنه حتميّ. كالولد المدلّل بطبعه المتطرّف الذي يقول إنّ كلّ شيءٍ ملكه، إلى درجة أنه لا يفعل شيئاً للحصول عليه. ومرةً أخرى، أنا الذي ذهبت في طلبه. صحيح أني قلت له مباشرةً إنّ لديه خامة رئيس"[١] كرّر القول. صديق آخر لديه ما يشبه هذا التحليل: "لكي يصل إلى حيث هو الآن، لزمه *hubris*[٢]، أي شعور بكونه مختلفاً. كيف يمكن تصور شخصٍ في الثامنة والثلاثين من العمر يتخلى عن وظيفة باهرة في القطاع الخاص ليصبح أميناً عاماً مساعداً في الإيليزيه، ثم وزيراً للاقتصاد، ثم يترك كل هذا وراءه ويغادر لينشئ حركة من دون أن يكون في العمق مسكوناً باقتناع راسخ بأنه ولد من أجل ذلك؟ هذا الاقتناع على الأرجح مقيم فيه منذ سنوات".

يا له من شخصية غريبة إيمانويل ماكرون! شخص ينغمس بالكامل في الإغواء، وفي الوقت نفسه، يضطلع بوضعه بجسارة. مزعزِع الحياة السياسية، وفي الوقت نفسه تكنوقراط بمظهر نجم روك. مرشح في هيئة جاستن بيبر[٣]، كما علقت ساخرة مارين لو بان، التي أوعزت إلى مناصريها بتنظيم لقاءات "أشبه بحفلات موسيقية سياسية". ويلمع في عينيه بريق الإثارة حين يسمع هتافات المناصرين.

---

١ من مقابلة مع المؤلفة في ٢٦ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.
٢ مغالاة، شعور عنيف مستوحى من العواطف، وخاصة من الكبرياء.
٣ مغنٍّ وممثل ومؤلف موسيقي شاب (مواليد ١٩٩٤). (المترجم)

شخصية غريبة بالفعل. لم يسجّل حضوراً في حلبة الصراع السياسي. "خفّاش"، كما شبهّه جان دورميسون، الذي كان الوزير قد دعاه إلى غداء وجهاً لوجه. "وجدته ذكيّاً جدّاً، لطيفاً جدّاً، كزوجته على أيّ حال"، يسجّل الأكاديمي وهو يلاحظ لديه "نوعاً من الحماسة". ويتذكر هذا الكاتب أنه تحدث خصوصاً في السياسة مع الوزير الفيلسوف. "قلت له: أنت تعلم، لكل رجل سياسة حيوانه الطوطم. حيوانك أنت هو الخفّاش. أنا طير، أنظر إلى جانحيّ. وأنا فأر، أنظر إلى قدميّ... في لحظةٍ ما يتحتّم عليك أن تختار"[1].

إيمانويل ماكرون خفّاش، أم هو عظاءة كتلك العظاءات التي كان يحتفظ بأذنابها في العلب، مبهوراً - ربما - بقدرة هذه الزواحف على قطع هذا الجزء الزائد في أجسادها، من أجل أن تنجو بحياتها، وتحتفظ بحريتها؟

١ من مقابلة مع المؤلفة في ١٧ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧.

خاتمة

ماوكلي أو بابار

النظرة تبدلت. نظرته هو، وأيضاً نظرة الآخرين إليه.

نظرته تحوّلت من صفاء طفوليٍّ زائف إلى نظرة قاسية ذات بريق فولاذيّ يعكس تصميمه الأكيد، ومشرقة أحياناً بقبس من النشوة.

أما نظرة الآخرين، نظرة ممثلي "العالم القديم" والطبقة المغلقة على نفسها والنظام السياسي الذي يحرص حرصاً تامّاً على التمايز عنه، فتطورت بالتأكيد. فضولية في البداية، ثم ساخرة، لتتحول قلقةً نوعاً ما وغير واثقة. ألعله بات من الممكن أن يستطيع إيمانويل ماكرون، هذا الجسم السياسي الغريب الذي كان مغموراً تماماً منذ أربع سنوات، قد كسب المعركة الرئاسية لعام ٢٠١٧ في وجه أعتى القدماء، هازئاً بأعراف السياسة؟

حين رأوه قادماً إلى ساحتهم كفتى ذهبي بثياب رياضية، هلّل ذئاب السياسة شيباً وشباناً وهم لا ينتظرون سوى أمر واحد: أن

يروا هذا الشاب ذا الوجه البريء والطموح الجلي، لكن مع خطاب فريد وذكاء حادّ، يواجه المبدأ الشهير للواقعية، مبدأ الخيبة، كمن سبقه من تقدميين آخرين (جان لوكانويه، جان - جاك سرفان - شريير أو من نوع آخر، ميشال جوبير) الذين ينظر إليهم في سماء السياسة كالنجوم المحترقة.

حين عيّن إيمانويل ماكرون وزيراً للاقتصاد، فرك السياسيون "الحقيقيون" أيديهم، واثقين أن ذاك الذي أطلق، حين علم بقرار هولاند فرض ضريبة ٧٥% على "الفاحشي الثراء"، مقولة "كوبا من دون الشمس!"[١]، سيكون من المتعذّر أن يشكل الأكثرية مع عصبة المعارضين، حين يواجه المشكلة عمليّاً.

حين ارتكب خطأه الأول بنعت العاملات في مصنع Gad بـ"الأميّات"، تبادلوا نظرات متفاهمة: ما كانوا ليصدقوا أن ذلك سيحدث في مثل هذه السرعة. لكن السياسي الشاب قدّم اعتذاره، ونجح في جعل الناس يضربون صفحاً على هذه الخطوة الناقصة وخصوصاً أنّ هذا الأسلوب بات، شيئاً فشيئاً، يحتسب له وحده كرمز للحداثة أو على الأقل للتجديد، عبر إدخال نغمة مختلفة على المشهد السياسي، ومضاعفة الاستفزازات المحسوبة، والانتهاكات (الصغيرة) التي يتحمل تبعاتها - "نحن في حاجة إلى

١ المقصود بهذا القول: مع هذه الضريبة الباهظة على الأثرياء تتحول فرنسا إلى شبيهة بكوبا الشيوعية. لكن لدى كوبا شمسها التي تشفع لها، فما ستكون حال فرنسا حين تصبح شبيهة بكوبا لكن من دون شمسها؟ (المترجم)

شبابِ فرنسيين راغبين في أن يصبحوا من أصحاب المليارات"، "الليبرالية هي قيمة يسارية" –، التصريحات أو الإجراءات التي تنال، بالجملة، من موثّقي العهود وكتّاب المحاكم وأطباء الأسنان ومفتشي إجازات القيادة. فن المعارضة هو حيلة قديمة للتميّز عن الآخرين.

حين أطلق حركته "إلى الأمام!" الأشبه بالنزل الإسباني المخصص لاستقبال كل المشردين التقدميين من اليمين واليسار، "تجمّع لجمع الطاقات"، تبسّموا أنفسهم بهدوء، مقتنعين بأن الطفل الصغير يقلد لعبة فرنسوا هولاند الخاسرة.

من ثم، وعلى مرّ الأسابيع، بعدما قرّر إيمانويل ماكرون الانطلاق في مغامرته الرئاسية، بدأ القدماء، أولئك المنتمون إلى عالم السياسة القديم، تغيير نظرتهم بعد النجاح المذهل الذي حققه هذا الحزب الذي ليس ككل الأحزاب، والذي يقول إنه يستمدّ وحيه من الفرنسيين الذين تمّت استشارتهم بـ"مسيرة كبرى"[1] من نوع جديد، في ما يشبه الاستفتاء التشاركي بالحجم الطبيعي. وباتوا ينتظرون بشيءٍ من القلق إلى يحدث لماكرون ما سبق وحدث لجوبيه، أي انفجار هذه الفقاعة المضخمة، غير مدركين أن كلّ ما يحتقرونه لديه كان بالتحديد ما يقدّره فيه مناصروه. هذه النداوة، وهذا التفاؤل المطلوب، وهذه الرغبة المعلنة في

[1] حملة أطلقها ماكرون في أيار ٢٠١٦ لاستفتاء مئة ألف فرنسي بطريقة الاتصال المباشر، التي تجند لها مناصروه. (المترجم)

القضاء على المصالح الخاصة الفئوية والانشقاقات القديمة التي تمّ تجاوزها، وهذه الطريقة في اختراق البدهيات وإعادة الاعتبار إلى ثلاثية: حرية، مساواة، إخاء، كمقاربة ثورية، وهذا الأسلوب الملائكي الذي لا يلجأ إلى رموز ذكورية تترافق عامةً مع السياسة في فرنسا، وهذا الرفض لإطلاق صفير الاستهجان ضد أخصامه، والقيام بحملة مضادة... وإبراز حبه رعيته، مازجاً كما كتب باسكال بروكنر في صحيفة *Le Monde*[1]، "طعم السلطة مع سلطة الحب. يريد أن يُنتخب لكنه يريد أوّلاً أن يكون محبوباً، بتسليم غير مشروط يلقى صداه لدى الجميع. يبدأ، إذاً، كغاوٍ ماهرٍ بالقول لنا إنه يحبنا (...) لكن عبارات "أنا أحبكم" التي يطلقها، مفتتناً، لمناصريه في لقاءاته، مثل عبارات المغني للجمهور، التي تقول خصوصاً: أعشق نفسي من خلالكم".

في الواقع، هذا الفتى المدلّل من جدّته المحبوبة معجون بالتناقضات. هو مخلوق فضائي من الجمهورية الخامسة. منتَج فريد لم ينشأ، كالعديد ممن يكبرونه في السن، ضد وصايةٍ مهيمنة خانقة، لكن في وضعيةٍ تحمل شيئاً من الديغولية. من رجلِ العناية الإلهية، من رجلٍ يقول لا للمصالح الخاصة الفئوية، للأحزاب التقليدية، لرئيس الجمهورية، مع هاجس رافقه طوال رحلته القصيرة: ألا يكون مسجوناً، ألا يرى حريته مكبّلة أو أن يعتريه

١ الخميس ٢ آذار/ مارس ٢٠١٧.

شعور من يكون في وضع خادم، هذا ما لا يستطيع احتماله. هو الذي قارن مهنة مصرفيّ الأعمال بمهنة المومس، والذي وصف مهماته أميناً عاماً مساعداً في الإيليزيه بـ"خادمة عليها أن تبدّل الملاءات كل يوم" قبل أن يضيف بجسارة، حين أصبح وزيراً للاقتصاد، أنه لم يكن "مديناً بشيء لفرنسوا هولاند"...

تقلّب في الإدارة، والمصرف، والحكومة، وكان، في كلّ مرة، يضع نفسه في قلب النظام السياسي والاقتصادي ليراقبه من دون أن ينخرط فيه.

بطل غريب من أبطال الأزمنة الحديثة، جعل من تصميمه في حياته الخاصة عبر فرض المرأة التي أحبها رغم الاعتراضات الاجتماعية، أو في حياته المهنية، علامته الفارقة، إلى درجة أنه حوّل حكايته الشخصية، المنمّقة أحياناً، وشخصه هو إلى أداةٍ للتواصل.

وهي أداةٌ في تطوّر مستمر لأنّ لديه، كما يبدو، هوياتٍ متقلّبة، إذ يتملّكه هاجس الخوف من أن تفرض عليه "الإقامة الجبرية"، ويعيش في قلقٍ دائم من ألا يعود في إمكانه أن يحيا الحياة التي حلم بها، إمّا عن غياب رضا وإما خشية القيد. مثل فرنسوا ميتران، الذي عنه كتب فرنسوا مورياك: "كان ذلك الفتى الباريزي[1] الذي يتألم حدَّ شدّ قبضتيه رغبةً في التحكم بحياته. لقد اختار التضحية

[1] نسبة إلى موريس بارّيز (١٨٦٢ - ١٩٢٣) كاتب وسياسي فرنسي ورمز من رموز الوطنية الفرنسية. (المترجم)

بكلّ شيء من أجل هذا التحكم". ظاهريّاً، ظلّ إيمانويل ماكرون هذا الفتى الراغب أيضاً في التحكم بحياته، أو كما قال عنه أحد أصدقائه: "هو لا يزال ماوكلي، وباغيرا جدته، لكنّ الوقت حان لكي يصبح الملك بابار"[1].

---

١ ماوكلي وباغيرا بطلا رواية روديارد كبلينغ الشهيرة التي حولتها ديزني فيلماً يحمل العنوان نفسه: **كتاب الأدغال**، وفيها ماوكلي الفتى الضائع في الغابة والفهد باغيرا صديقه. أما بابار، فهو ملك الفيلة في روايات الأطفال من ابتكار سيسيل دو برونهوف. (المترجم)

اعترف له الجميع أنه الأفضل. إنه إيمانويل ماكرون الذي أصبح رئيساً لفرنسا في التاسعة والثلاثين.

منذ سنّ مبكرة وهو يلمح نظرات الإعجاب والتشجيع، وخصوصاً لدى من يكبرونه ولدى عرّابيه الذين ساندوه طوال مسيرته، مفتونين بذكائه ودماثته.

شكّل مع زوجته بريجيت ثنائياً استثنائيّاً لا بفارق العمر بينهما بل بكونها المرأة الوحيدة التي أحبّها مذ كان في السادسة عشرة.

أغرى الفرنسيين بتصميمه واستطاع أن ينال رضاهم ويعبّر عن حبّه لهم بعيداً عن الرسميّات.

ترسم آن فولدا صورة شخصية غير مسبوقة للرئيس الجديد الذي تجتمع فيه رغبة الفوز مع الحاجة إلى الإقناع ونيل الإعجاب.

آن فولدا مراسلة فرنسية بارزة.



ISBN 978-614-03-2036-9